

د. حمدان طه

القصر الأموي في خربة المفجر

3N 978-9950-385-48-1

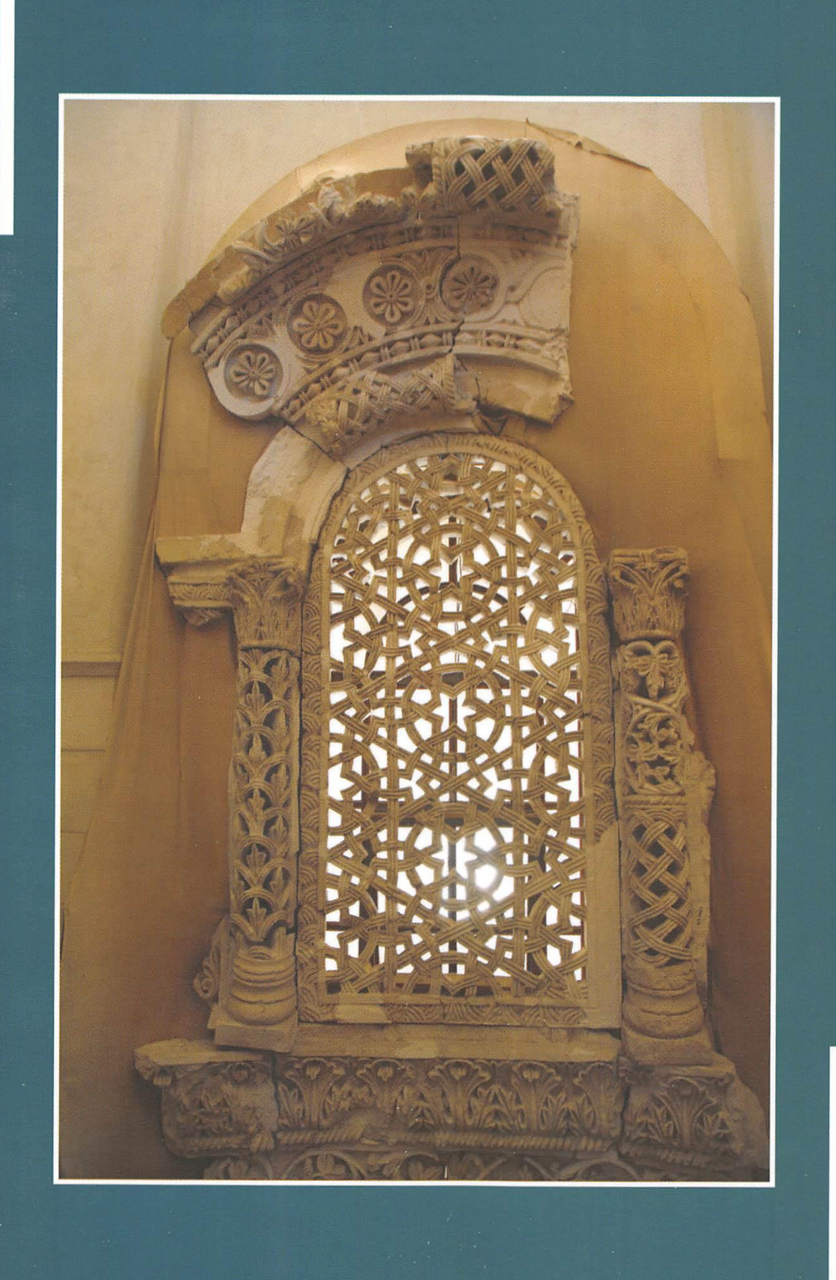


دار الناشر
DAR AL NASHER



د. حمدان طه

باحث مستقل في علم الآثار والتراث الثقافي، درس علم الآثار في جامعة بيرزيت والجامعة الأردنية وحصل على درجة الدكتوراه في آثار الشرق الأوسط من معهد آثار غرب آسيا في جامعة برلين الحرة في ألمانيا سنة 1990. عمل أستاذاً للآثار في معهد الآثار في جامعة بيرزيت ما بين 1991-1993. وانخرط منذ سنة 1994 على إعادة تأسيس دائرة الآثار الفلسطينية في وزارة السياحة والآثار. عمل مديراً عاماً للدائرة منذ سنة 1995-2004، ووكيلاً مساعداً لقطاع الآثار والتراث الثقافي من سنة 2005-2012 ووكيلاً للوزارة حتى نهاية العام 2014. أشرف د. طه على عدد كبير من التنقيبات الأثرية في فلسطين، ومشرفاً مشاركاً على التنقيبات الفلسطينية - الإيطالية في تل السلطان، والتنقيبات الفلسطينية - الهولندية في خربة بلعمة وتل بلاطة، والتنقيبات الفلسطينية - النرويجية في خربة المفجر، والتنقيبات الفلسطينية - الأمريكية في خربة المفجّر (قصر هشام) في أريحا، إلى جانب عدد كبير من مشاريع الترميم والتأهيل. كما أشرف على مشروع التراث العالمي في فلسطين وعلى إعداد اللائحة التمهيدية لمواقع التراث العالمي في فلسطين، وملفات ترشيح موقعَيْ بيت لحم والمشهد الثقافي في بتّير المُدرجَيْن على لائحة التراث العالمي. ألّف د. طه ما يزيد على عشرة كتب في مجال الآثار والتراث الثقافي وعشرات المقالات والدراسات المنشورة في الدوريات العلمية.





خربة المفجر
التسلسل الزمني

تنقيبات دائرة الآثار الفلسطينية وجامعة شيكاغو

2011م (1432 هـ)

أعمال ترميم وتنقيبات دائرة الآثار الفلسطينية

تحت إشراف د. حمدان طه

1995م (1415 هـ)

تنقيبات دائرة الآثار الفلسطينية

تحت إشراف ديمتري برامكي وروبرت هاملتون

1934-1948م (1352-1367 هـ)

الفترة الأيوبية

سكن مؤقت

1187-1250م (582-647 هـ)

الفترة الفاطمية والفرنجية

لا توجد دلائل واضحة على سكن الموقع

970-1187م (359-582 هـ)

الفترة العبّاسية

استمرار الضيعة الزراعية

750-970م (132-359 هـ)

نهاية الفترة الأموية

750م (132 هـ)

زلزال مدمر يضرب المنطقة — 749م (131 هـ)

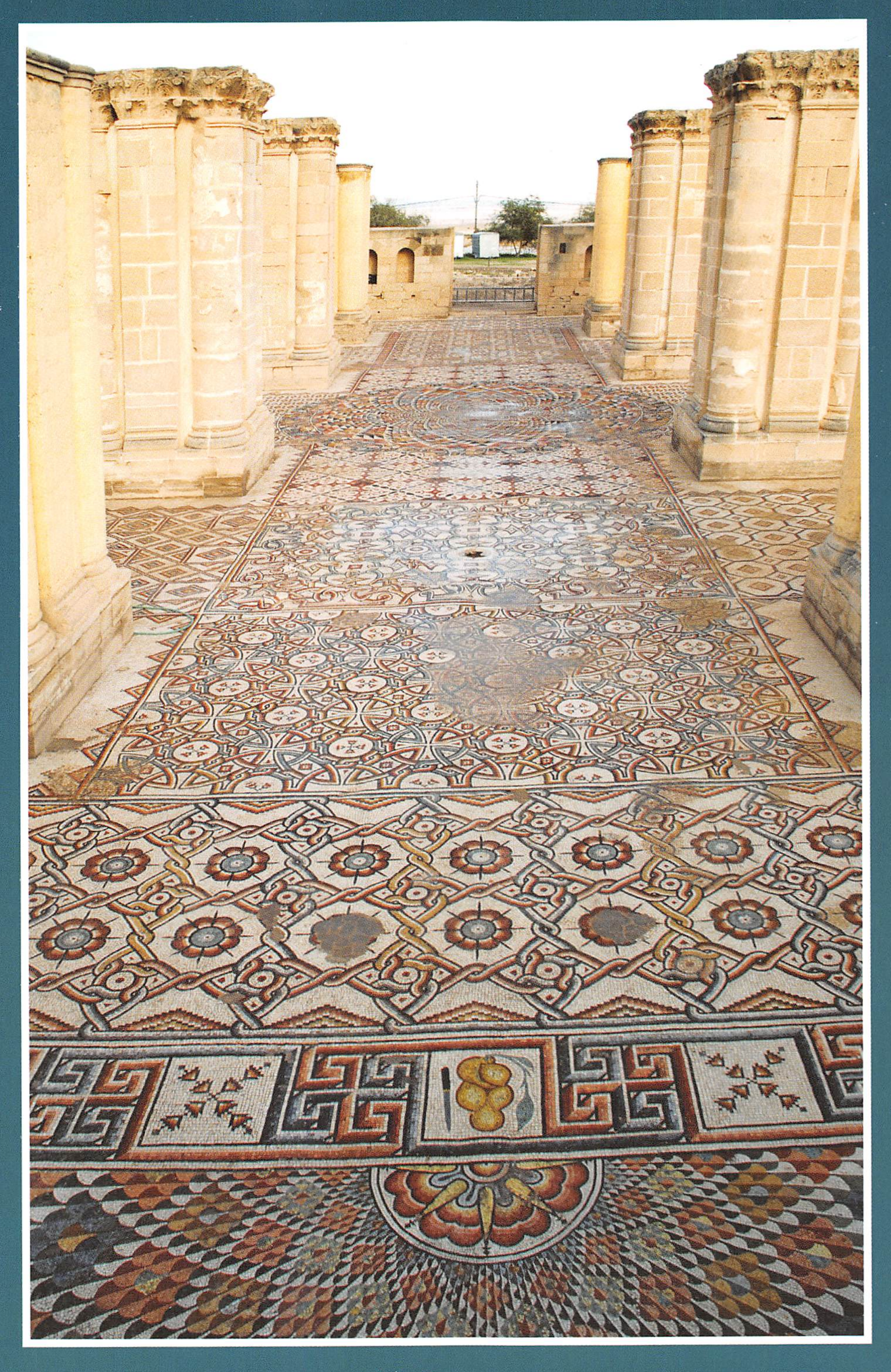
عهد الخليفة الوليد الثاني — 743-744م (105-125 هـ)

بناء القصر الأموي — 730-749م (111-131 هـ)

عهد الخليفة هشام بن عبد الملك — 724-743م (105-125 هـ)

الفترة الأموية

661-750م (40-132 هـ)

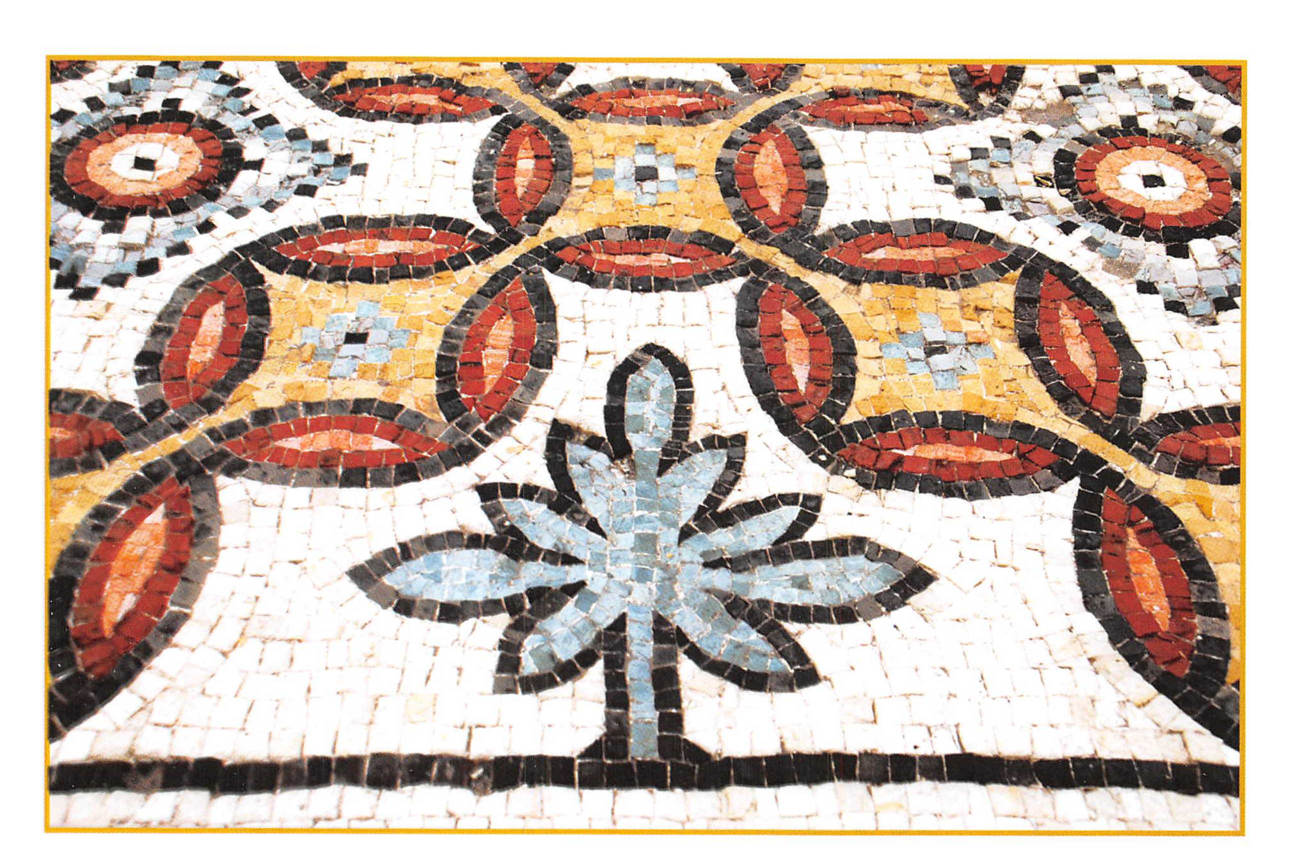


د. حمدان طه

القصر الأموي في خربة المفجر

القصر الأموي في خربة المفجر

د. حمدان طه



الطبعة الأولى، 2016 - رام الله، فلسطين

ISBN 978-9950-385-48-1

إصدار دار الناشر - رام الله، فلسطين
هاتف: +970 2 2961911
info@enasher.com
www.enasher.com



دار الناشر
DAR AL NASHER

التوزيع خارج فلسطين بالتعاون مع:

دار الأهلية



الأهليّة للنشر والتوزيع

شكر خاص إلى:

دائرة الآثار/ وزارة السياحة والآثار

معهد الدراسات الشرقية/ جامعة شيكاغو

السيد خضر خنفر/ وزارة السياحة والآثار

السيد إياد حمدان/ وزارة السياحة والآثار

مصادر الصور:

التنقيبات الفلسطينية - الأمريكية المشتركة/ دائرة الآثار: 17، 18، 24، 40، 41، 44، 52، 59، 63-71، 155، 158 (ويتكومب 1986)، 165، 166، 167-170.

د. حمدان طه/ أرشيف دائرة الآثار/ وزارة السياحة والآثار: 10-16، 19-20، 28، 30-31، 34 (العليا)، 37، 43، 47-48، 54-57، 62، 72، 74-78، 80-81، 84، 105، 109-110، 113-153، 163، 168، 172-216.

جورج عازر: 22، 27، 33، 38، 50، 60، 79، 107.

ديمتري برامكي 1953: 23، 25، 34 (السفلى)، 37، 61، 85-86، 108، 111، 154، 156، 157، 159، 161-162، 164.

قسطنطين برامكي: 5، 8.

متحف الآثار الفلسطيني: 2-4، 6، 9، 29، 32، 91، 93-100، 102-104، 107.

متحف قصر هشام: 21، 89، 101 (عن المتحف البريطاني)، 106 (توفيق دعادلي)، 160.

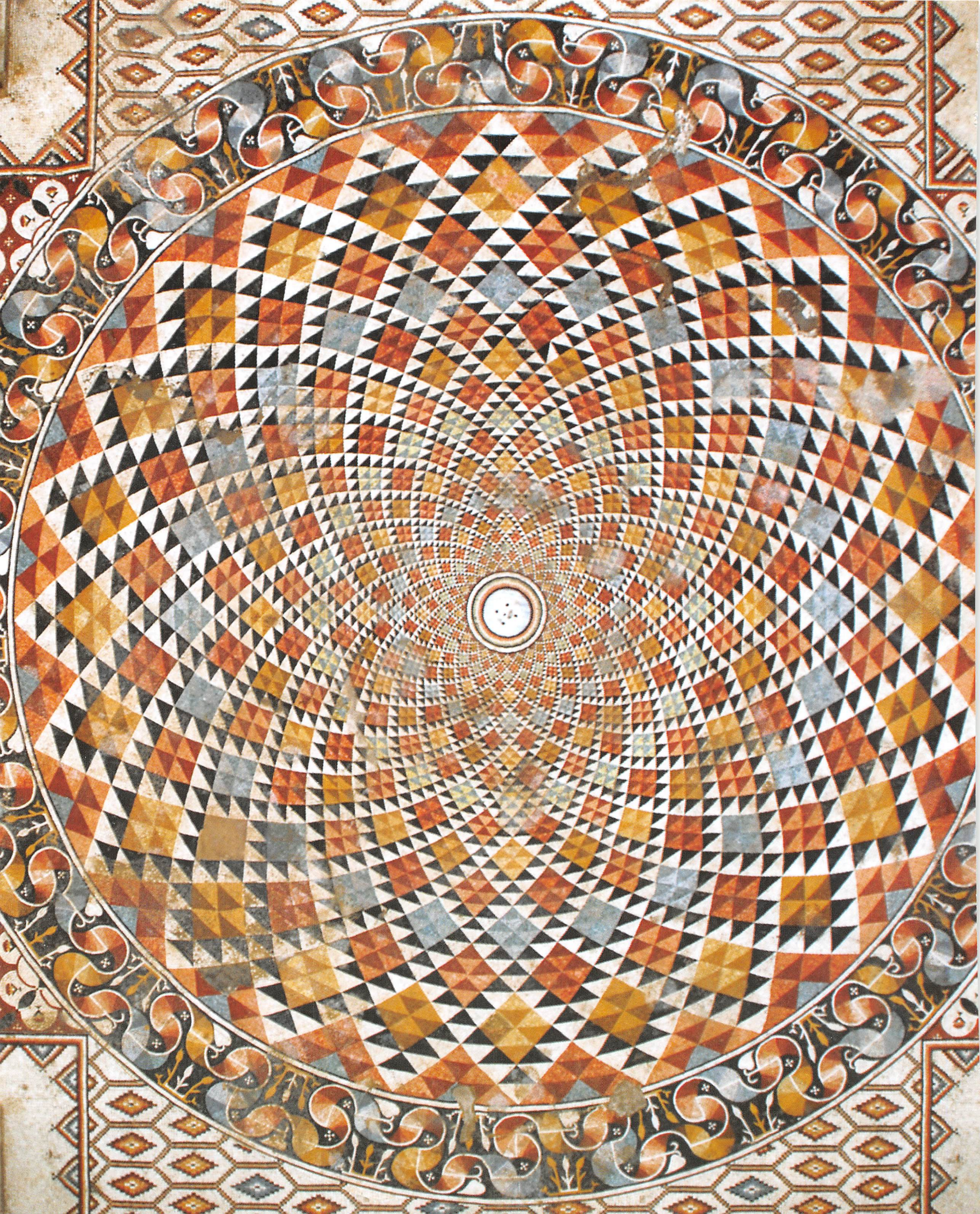
هاملتون 1959: 1، 25، 26، 35، 39، 42، 45، 46، 49، 51، 53، 58، 73، 82، 83، 87-88، 90، 92، 112 (مع تعديلات د. طه و د. ويتكومب).

التصميم والإخراج والطباعة: مؤسسة الناشر

رام الله - فلسطين

المحتويـــات







تقديـــم

على بُعد بِضعة كيلومترات إلى الشمال من مدينة أريحا، أقدمِ مدينة في العالم، تقع آثار خربة المفجر، وتضم أطلالاً دارسةً لقصر أموي يُعتبر واحداً من روائع الفن والعمارة الأُموية، وعُرف هذا الموقع بقصر هشام نسبةً إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك على أساس نقشين كتابيّين وُجدا في الموقع. وينتمي هذا الخليفة إلى قائمة الخلفاء الأمويين العظام أمثال معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان وابنه الوليد الذين شيّدوا إمبراطورية مترامية الأطراف، وتركوا آثاراً لا تُمحى في فلسطين كمسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى في القدس، إضافة إلى سلسلة من القصور الأموية على أطراف بادية الشام.

وقد أماطت التنقيبات التي أجراها عالِم الآثار الفلسطيني الشاب د. ديمتري برامكي اللثامَ عن تاريخ هذا الموقع وتراثه الأموي على مدار 12 موسماً ما بين 1934-1948 الذي سبق وأشارت إليه المسوحات الأثرية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كبقايا دَير بيزنطي. ونُشرت نتائج هذه التنقيبات تباعاً في فصلية الآثار الفلسطينية في الفترة نفسها. وقد شدّ الجمال الإستثنائي لفنون القصر، وخصوصاً أرضيات الفسيفساء والزخارف والتماثيل الجصّية والحجرية اهتمامَ الباحثين، وحظي الموقع بمكانة مرموقة في تاريخ دراسة الآثار الإسلامية المبكّرة.

لقد توقف العمل في الموقع إثر النكبة التي ألمّت بالشعب الفلسطيني سنة 1948، وفي فترة الإدارة الأردنية نفّذ متحف الآثار الفلسطيني أعمال ترميم واسعةً في الموقع وعرَضَ موادّه في المتحف. ليعود ويطاله الإهمال بعد الإحتلال الإسرائيلي سنة 1967. ومنذ انطلاقة دائرة الآثار الفلسطينية الحديثة سنة 1994، تحوّل الموقع إلى ساحة للعمل والتعاون المحلي والدولي بمشاركة العديد من المؤسسات والأفراد. وفي سنة 2006 أعاد الكاتب التنقيبَ في المنطقة الشمالية للموقع، لتُظهر أن القصر لم يبُحْ بكل مكنوناته بعد، ويتطور العمل إلى مشروع للتنقيب المشترك بالتعاون مع جامعة شيكاغو ما بين 2010 و2015، ويكشف عن بقايا ضَيعة زراعية في الفترتين الأموية والعبّاسية بجوار القصر.

إن التراث الأموي في خربة المفجر يقف شاهداً معاصراً على عظمة الحضارة العربية الإسلامية المبكّرة في فلسطين، وهو نتاج حضارة جديدة مُفعَمة بالحياة، استلهمت التراثَ اليوناني والروماني والبيزنطي والمصري والسّاساني، وأعادت تكوينه بصورة إبداعية من جديد. واقامت توازناً بين الدنيا والدين. ورغم النهاية التراجيدية المبكرة للحضارة الأموية، فإن الطاقة الإلهامية لهذا التراث بقيت محفوظةً على حد قول روبرت هاملتون في تقاليد المدارس الفنية والمشاغل الحرفية الشامية حتى يومنا هذا.

لقد تمكن خبراء الآثار والترميم والإدارة من خلال التخطيط المتكامل والتعاون مع الشركاء المحليين والدوليين من تحويل هذا الموقع المهمل في فترة الاحتلال الإسرائيلي إلى نموذج لحديقة أثرية حديثة، مزوّدة بالمرافق والخدمات السياحية، ومركز تفسير ومتحف موقع، ويصبح ساحةً للتفاعل الإيجابي بين الناس وتراثهم، ويحفظ متحف الموقع الصغير العلاقة العضوية مع العرض الرئيس لآثار الموقع في متحف الآثار الفلسطيني، المتحف الأُم في مدينة القدس المحتلة.

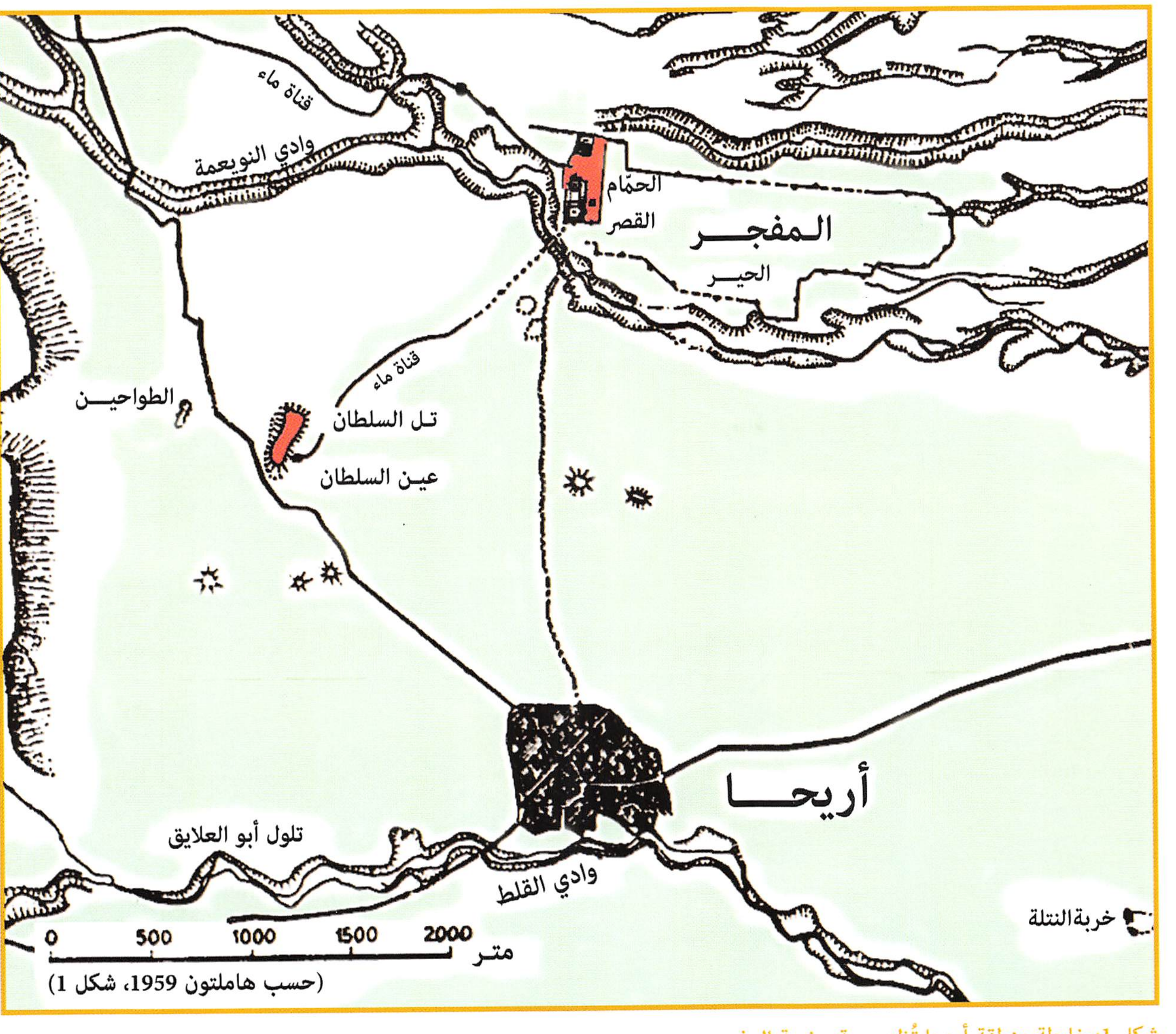
وأدينُ بالشكر في إعداد هذا الكتاب لكل الباحثين الذين عملوا في الموقع على امتداد عقود طويلة، وخصوصاً د. برامكي ود. روبرت هاملتون، وكافة الزملاء في دائرة الآثار والتراث الثقافي في وزارة السياحة والآثار، وأعضاء بعثة التنقيب الفلسطينية - الأمريكية المشتركة، وأخص بالذكر السادة جهاد ياسين وإياد حمدان وخضر خنفر على تعاونهم، والسيد عبد المنعم شلبي على التدقيق اللغوي، كما وأشكر دار الناشر في رام الله، على تبنّيها نشرَ هذا الكتاب.

وفي الختام آمل أن يسُد هذا البحثُ الذي حظيتُ من خلال عملي كمدير عام لدائرة الآثار الفلسطينية بالانخراط المباشر فيه، إلى سَدّ ثغرة في معارفنا حول هذا الموقع الأثري المهم من الفترة العربية الإسلامية المبكّرة، وأن يُشكّل إضافةً متواضعةً إلى المكتبة الأثرية في العالم العربي.



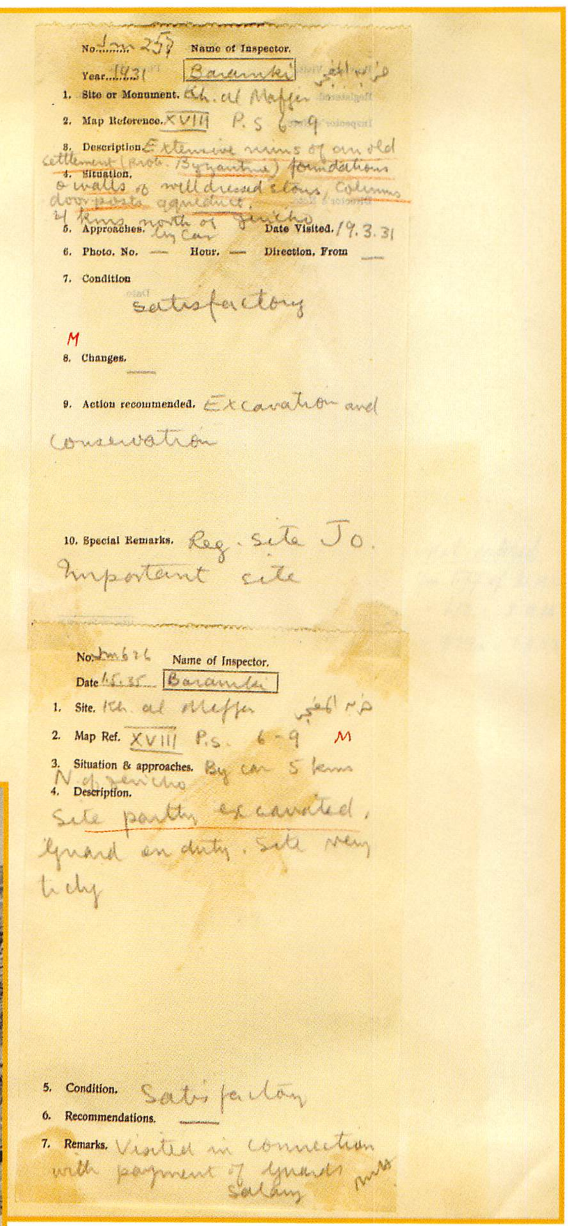
الفصل الأول: تاريخ استكشاف الموقع

يعود تاريخ استكشاف خربة المفجر(شكل 1)، التي تُعرف بقصر هشام، إلى أواخر القرن التاسع عشر، وقبل مائة وخمسين عاماً قام الضابط تشارلز وارن بإجراء بعض الأسبار في الموقع لحساب صندوق استكشاف فلسطين، كما جرى مسح موقع خربة المفجر أول مرة من قبل فريق مسح صندوق استكشاف فلسطين في سنة 1873، وقد وصف (كوندر) الموقع بأنه يمثل بقايا دَيْر متهدّم من العصور الوسطى. في سنة 1894 زار الخرائب السيد (ف. ج. بلس) بالإنابة عن صندوق استكشاف فلسطين، ووصف (بلس) الخرائب في «فصلية صندوق استكشاف فلسطين (1894: 177-181) بأنها تتكون من ثلاث تلال صغيرة مصطفة على محور شمالي-جنوبي، ويلتف حولها بقايا سور خارجي من جهة الشرق.



شكل 1: خارطة منطقة أريحا تُظهر موقع خربة المفجر

ويتبين من تقارير المسوحات الأثرية الأولى بأن الموقع كان مستعملا كمقلع للحجارة الجاهزة في منطقة أريحا (شكل 2)، ولوحظ استخراج الحجارة لبناء قصر للسلطان العثماني في أريحا، كما أن حجارة الموقع استُخدمت على نطاق واسع لبناء دير الفرنسيسكان في أريحا بعد الحرب العالمية الثانية. ويعتقد هاملتون أن عمليات النهب النّشِطة الجارية في الموقع (شكل 3) إلى جانب الغنى الظاهر لزخارفه المعمارية لأُسلوب لم يكن يسهل التعرف عليه في حينه، هو ما حدا بدائرة الآثار الفلسطينية لمباشرة أعمال التنقيب في الموقع في الفترة ما بين 1934-1935، وكان الاعتقاد السائد آنذاك بأن خربة المفجر تمثل بقايا دير بيزنطي.

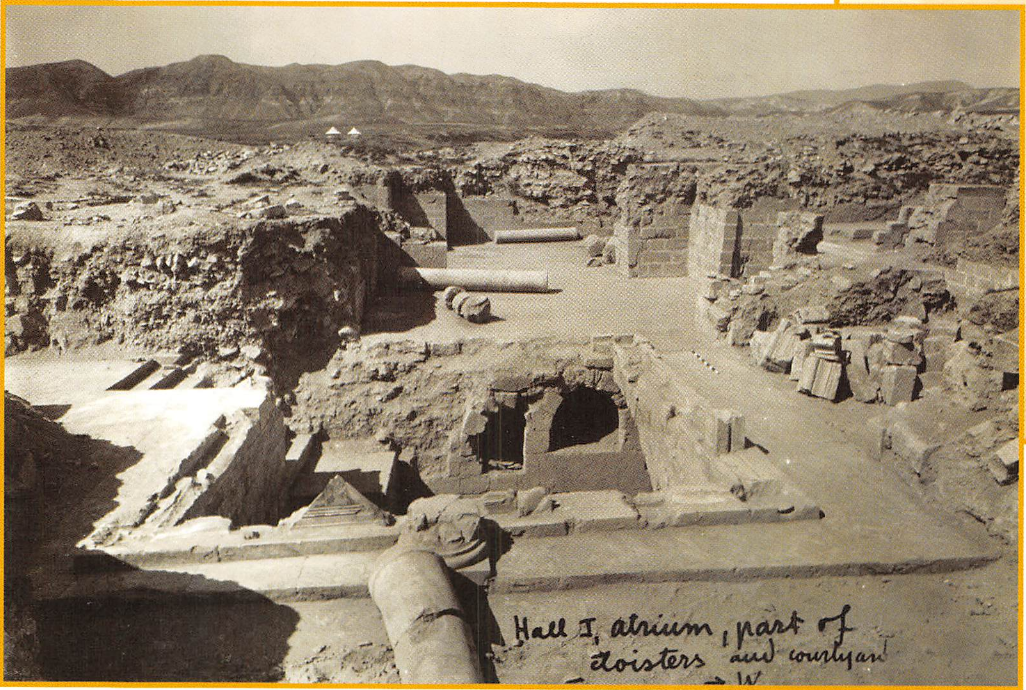

No. Jm 257 Name of Inspector.
Year 1931 Baramki خربة المفجر
1. Site or Monument. Kh. al Maffjer
2. Map Reference. XVIII P.S 6-9
3. Description. Extensive ruins of an old settlement (prob. Byzantine) foundations & walls of well dressed stones, columns door posts aqueduct.
4. Situation. 2 kms north of Jericho
5. Approaches. by car Date Visited. 19.3.31
6. Photo. No. — Hour. — Direction. From —
7. Condition
satisfactory
M
8. Changes. —
9. Action recommended. Excavation and conservation
10. Special Remarks. Reg. site J O. Important site

No. Jm 626 Name of Inspector.
Date 15.35 Baramki
1. Site. Kh. al Mafjer خربة المفجر
2. Map Ref. XVIII P.S. 6-9 M
3. Situation & approaches. By car 5 kms N. of Jericho
4. Description.
Site partly excavated, guard on duty. Site very tidy
5. Condition. Satisfactory
6. Recommendations. —
7. Remarks. Visited in connection with payment of guards salary

شكل 2: صورة لتقرير مفتش الآثار برامكي سنة 1931



شكل 3: نقل الحجارة من منطقة النافورة



شكل 4: صورة عامة للتنقيبات في ساحة القصر

قامت دائرة الآثار الفلسطينية في حكومة الانتداب البريطاني بالتنقيب في خربة المفجر على مدى 12 موسماً شتوياً بين الأعوام 1935-1948 (شكل 4)، تحت إشراف عالم الآثار الفلسطيني الشاب ديمتري برامكي (شكل 5) وبمساعدة روبرت هاملتون، مدير دائرة الآثار آنذاك (Baramki 1936: 132-138; 1937: 157-168; 1939: 51-53; 1944: 153-159; 1953; Hamilton, 1959, 1988, 1993) وانتهت التنقيبات

الأثرية في شهر آذار سنة 1948 مع نهاية الانتداب البريطاني في فلسطين، وكشفت هذه التنقيبات عن أجزاء هامة من مجمّع القصر الأموي، وحلّت الكثير من الأسئلة حول طبيعة الموقع وتاريخه.

نُشرت نتائج التنقيبات الأولية في فصلية الآثار الفلسطينية تباعاً (الأشكال 6-7).

شكل 5: صورة ديمتري برامكي في شبابه

وتقارير السيد برامكي لأعمال التنقيب في الموقع والفخار والكتابات والتي ظهرت في الأعداد رقم 5 و 6 و 8 و 10 من الفصلية، مكّنت من تأريخ المبنى الرئيسي للقصر، والتي نستمدُّ منها جُلَّ معلوماتنا اليوم. كما أن ملاحظاته المختصرة قد نُشرت في مجلة نشرة لندن المصورة رقم 3 من شهر سبتمبر 1938 وفي 14 يوليو لسنة 1945 و 28 أيار لسنة 1949. كما أعد برامكي دليلاً سياحياً مختصراً للموقع نُشر سنة 1947. وقد نشر هاملتون نتائج التنقيبات الأثرية المتعلقة بالتماثيل الحجرية والجصّية في مقالتين في العددين 13 و 14 من الفصلية ذاتها ودراسته الشاملة التي صدرت عن الموقع سنة 1959.

في هذه الفترة بدأت الغيوم تتلبد في سماء فلسطين، وقد أدت أحداث النكبة التي ألمّت بفلسطين سنة 1948، إلى وضع نهاية مبكرة للتنقيبات الأثرية في الموقع، وحال تشتّتُ طاقم دائرة الآثار وتوقّف حوليتها عن الصدور دون النشر العام لنتائج التنقيبات الأثرية، أو حتى النشر الأولي لنتائج المواسم الأربعة الأخيرة في خربة المفجر. وبعد أربع سنوات من الكارثة، أشار ديمتري برامكي سنة 1953 إلى هذه الأوضاع التي حالت دون استكمال أعمال التنقيب في الموقع بالقول «ما زالت هناك ضرورة لاستكمال أعمال التنقيب في المنطقة الواقعة إلى الشمال من الحمّام الكبير وشرقه، وعسى أن تُقيِّض الظروف في المستقبل لشخص متحمس أن يقوم بهذه المهمة».

No JM 383

Date: 3.2.32 and 19.2.32

Site: Kh. al Mafjer خربة المفجر

Map Ref: XVIII P.S. 6-9

Situation and Approaches: In the plain 4 kms north of Jericho and 2 of Ain al Sultan.

Description: The site can be roughly divided into three sections, A, B and C.

(A) lies in the west of the site. In its southern half are remains of a building mostly covered up, forming a mound. The north half, also a mound, has been sufficiently dug to expose part of its contents. A broken column lies in its south end. In the north end there were several ornamented voussoir stones (see photos) ornamented door posts and lintels (see photos), moulded stones (see photos) and other architectural fragments, (see photo). All the voussoir stones are apparently still existing and it may be possible to reconstruct the original arch with them. Parts of the walls have been exposed to the extreme north of the section (see photo). White tesserae were found scattered all over site.

(B) lies in S.W. of site. Remains of a well preserved wall with a door-jamb, and column lie in middle of section (see photo). A capital lies to E (see photo). Coloured tesserae (yellow, red and brown) are scattered in middle of section near column. (Specimen of these brought to Museum). Building stones dug illicitly lie scattered.

(C) is very extensive and lies N.W of site. Two halves of a door jamb and a trough to E. Extensive remains of walls similar to those in A & B large number of grey flagstones, probably used for pavements.

Masonry: All of sandstone, even capital ~~***~~ & voussoir stones, but not the columns. Well dressed and in good state of preservation. Size (60x30) sq cms 50cms x 30cms.

Potsherds: Ribbed Byzantine, painted and glazed Arab. (Selection brought to Museum).

Condition: Was illicitly dug and at present in an unsatisfactory state.

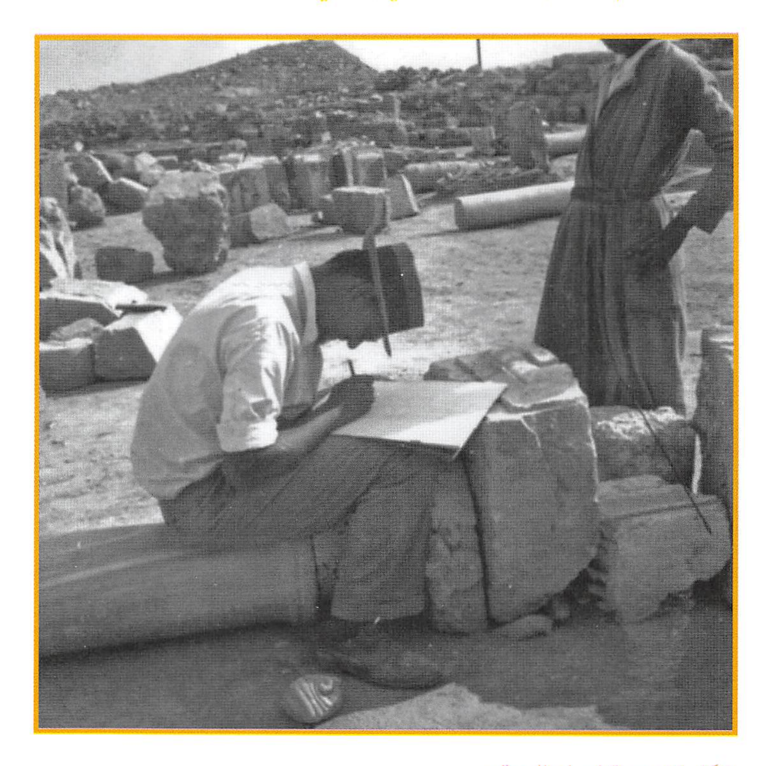
Recommendation: Excavation soon, reconstruction of arch, either on site or in Museum

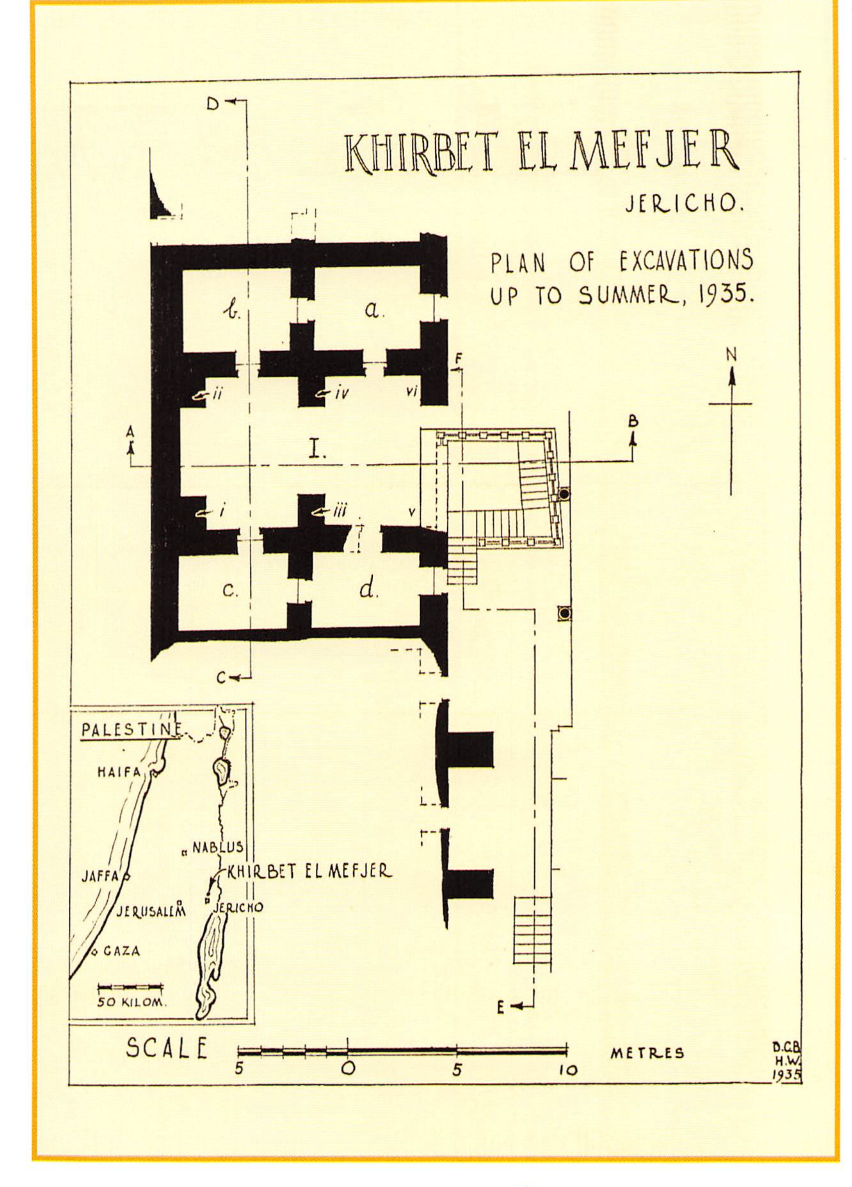
Remarks: Ownership: Government (?)
Water Supply. Remains of a channel that brought water from Ain Duk 5 kms north west. (see photo)
Ref: P.E.F. Memoirs Vol III p. 211

D. C. Baramki

شكل 6: تقرير تنقيبات بخط برامكي


شكل 8: طاقم التنقيب يتوسّطه ديمتري برامكي


شكل 9: صورة لرسام الموقع



شكل 7: مخطط تنقيبات الموسم الأول

وقد أُجملت النتائج في عملين رئيسيين؛ رسالة الدكتوراه التي أعدها ديمتري برامكي (Baramki 1953) سنة 1953 بعنوان «الحضارة والعمارة العربية في الفترة الأموية: دراسة مقارنة بالإشارة الخاصة إلى نتائج تنقيبات قصر هشام»، ثم دراسة هاملتون المطوّلة بعنوان «خربة المفجر: قصر عربي في الصحراء»، الذي صدر عن جامعة أوكسفورد سنة 1959 (Hamilton 1959). وشهدت العقود التي تلت فيضاً من الدراسات حول جوانب مختلفة من آثار خربة المفجر.

ومنذ ذلك التاريخ أسهمت أعمال التنقيب والترميم (شكل 8) وعمليات التنظيف الجزئية التي قامت بها دائرة الآثار الفلسطينية في إضافة حقائق جديدة. ويعود الفضل في ذلك إلى العمل الدؤوب لطاقم متحف الآثار الفلسطيني في القدس في تجميع الحجارة (شكل 9) وأعمال الجص والتي أسهمت بدورها في التعرف على الزخارف وفي حل الإشكاليات المعمارية أيضاً.

وخلال فترة الإدارة الأردنية ما بين 1948-1967 تواصلت أعمال الترميم في القصر، وشملت تثبيت وإعادة بناء السور الخارجي والبوابة الجنوبية والنافورة والأعمدة

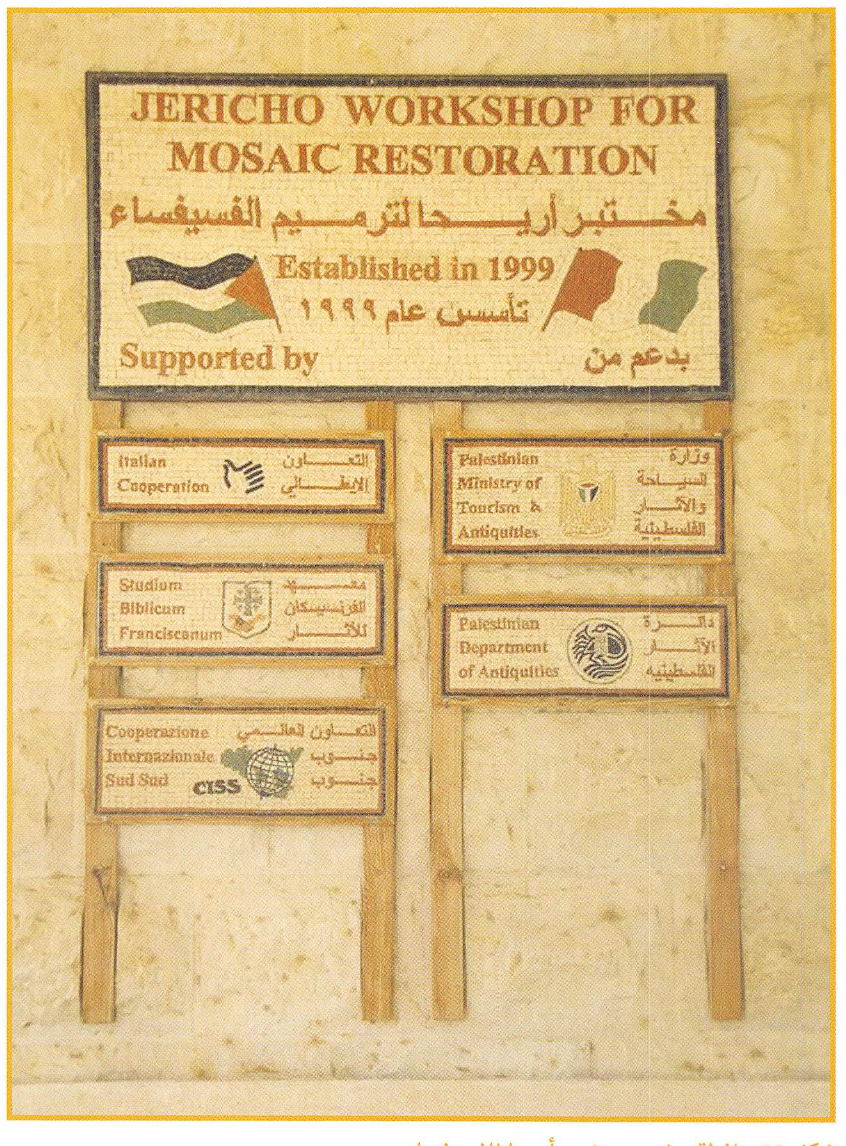
المركّبة في الساحة وأعمدة الساحة والسرداب ثم إعادة بناء قواعد قاعة الاستقبال الكبرى في الحمّام (شكل 10)، وإعادة بناء غرفة الديوان التي تضم فسيفساء شجرة الحياة. كما جرت تنقيبات إضافية في المنطقة الشمالية خلف مجمّع القصر في ستينيات القرن الماضي تحت إشراف د. عوني الدجاني مدير عام دائرة الآثار الأردنية، وللأسف لم تُنشر نتائج هذه التنقيبات التي يبدو أن وثائقها تعرضت للضياع.

أما في فترة الاحتلال الإسرائيلي بين الأعوام 1967-1994 فقد تعرض الموقع لإهمال كلي، ولم تجرِ أية أعمال تطوير للموقع الأثري وظلت المواد الأثرية المكتشفة في الموقع وتقارير التنقيبات حبيسةَ مخازن متحف الآثار الفلسطيني في القدس الذي خضع للاحتلال.

وبعد نقل الصلاحيات للسلطة الفلسطينية عام 1994، قامت دائرة الآثار الفلسطينية الوليدة بتحمّل مسؤولياتها تجاه الموقع، ليتحول إلى مدرسة ميدانية وساحة للتعاون الدولي. واستُخدم الموقع كمقر مؤقت ومركز عمليات لدائرة الآثار الفلسطينية الوليدة، وبدأ العمل على خطط إعادة تأهيل الموقع مباشرةً، من خلال مشروع تأهيل قصر هشام والذي قامت به دائرة الآثار بالتعاون مع اليونسكو ومعهد الآثار الفرنسيسكاني بتمويل من الحكومة الإيطالية وشمل وضعَ خطة شاملة لإدارة الموقع وتطويره كحديقة أثرية، بدأت بتقييم حالة الحفظ في الموقع، وإجراء مسح طبوغرافي جديد، كما تضمنت خطةً عاجلةً لترميم فسيفساء الحمّام الصغير (السرداب) سنة 1996-1997، والتي نُفذت على شكل ورشة تدريبية بإشراف خبراء ترميم إيطاليين ومشاركة فريق من المتدربين الفلسطينيين على أعمال ترميم الفسيفساء. وفي سنة 1999 تم إنشاء مختبر لترميم الفسيفساء في



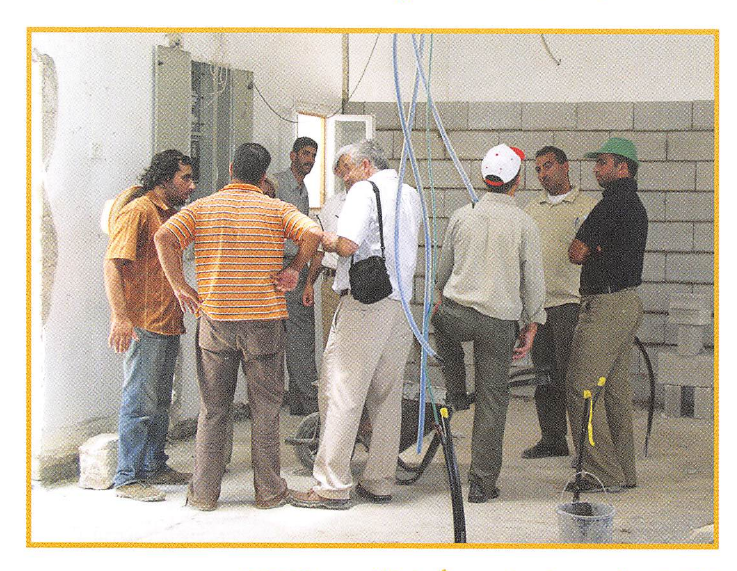
شكل 10: صورة أعمدة قاعة الاستقبال في الحمام



شكل 11: يافطة مشروع مختبر أريحا للفسيفساء



شكل 12: صورة المواد المكتشفة في إحدى غرف القصر سنة 2002



شكل 13: فريق عمل مشروع تأهيل القصر سنة 2008

قصر هشام (شكل 11) بدعم مالي وفني من قبل الحكومة الإيطالية كاستجابة لمهمات ترميم الفسيفساء، والذي قام بتدريب فريق وطني على أعمال ترميم الفسيفساء وإعادة إنتاج الفسيفساء القديمة. وقام الفريق بدوره في عمليات ترميم الفسيفساء والحجارة المتآكلة في قصر هشام (Taha 2005: 179-188, 2008: 279-86). وفي سنة 2002، عُثر في أحد غرف القصر على كميات كبيرة من المواد الأثرية (شكل 12) مكونة من قطع من الجص والحجارة وكِسر الفخار في مجموعة من الصناديق التي يبدو أنها خُزنت قبل حرب 1967 وبقيت في مكانها. وقام فريق من دائرة الآثار بوضع قائمة بهذه المواد تحت إشراف م. محمد ذياب. وفي السنوات 2005-2006 تم تنفيذ سلسلة من ورش ترميم الحجارة في القصر بالتعاون مع اليونسكو، وإجراء بعض الدراسات على مشروع تغطية الفسيفساء في قصر هشام.

وفي الفترة ما بين 2006 و 2008 تم تنفيذ مشروع تأهيل شامل في القصر، وذلك في إطار التعاون مع مؤسسة أنيرا وبتمويل من وكالة التنمية الأمريكية (شكل 13)، شمل تطوير البنية التحتية السياحية للموقع، وتأهيل الطرق الواصلة إلى الموقع وبناء جسر جديد يقطع وادي النويعمة وإنشاء مواقف جديدة

لوسائل النقل، ثم تأهيل منطقة الاستقبال ومركز التفسير والمسارات الداخلية والمرافق ولوحات الشرح وتأهيل مبنى المتحف. وأشرف على المشروع خبراء من دائرة الآثار مكون من السادة إيهاب داود وأحمد الرجوب وإياد حمدان ووائل حمامرة ومحمد ذياب بالتعاون مع مكتب حبش الاستشاري تحت إشراف م. نادية حبش.

وفي عام 2006 قامت دائرة الآثار الفلسطينية (شكل 14) بإجراء تنقيبات محدودة في المنطقة الواقعة إلى الشمال من الحمّام الكبير تحت إشراف د. حمدان طه (Taha 2011) بمشاركة فريق من دائرة الآثار مكون من السادة جهاد ياسين وإياد حمدان وصالح طوافشة ومحمد غياضة ووائل حمامرة. وكشفت هذه التنقيبات عن التاريخ الطبقي للموقع في منطقة الخدمات الملاصقة للحمّام، وتم التمييز ما بين أربع طبقات استيطانية متتالية، الأولى تعود للفترة الأموية، والثانية تمثل فترة هجر للموقع بعد الزلزال ممثلة بطبقة من التراكمات، والثالثة تعود للفترة العباسية، والأخيرة تمثل مرحلة استخدام مؤقت في الفترة الأيوبية. وأظهرت التنقيبات بشكل جلي آثار الدمار الذي أحدثه الزلزال العنيف (شكل 15) الذي ضرب القصر سنة 749/748م، وهي شهادة حية على آثار هذا الزلزال المدمر، الذي رصدته التنقيبات الأولى في تقاريرها، ولكنها أُزيلت للأسف في مناطق القصر الأُخرى أثناء أعمال الترميم التي تلت التنقيبات الأثرية السابقة في الموقع. وقد أظهرت هذه التنقيبات بأن الموقع يحتاج إلى مزيد من التنقيب.

وضمن برنامج تنمية السياحة المستدامة في أريحا، تم إنتاج فيلم قصير سنة 2009، يُعرض في مركز التفسير عند مدخل الموقع، وهي أول تجربة لتفسير الموقع الأثري باستخدام تقنيات



شكل 14: تنقيبات 2006



شكل 15: آثار الزلزال في منطقة الحمام، تنقيبات 2006

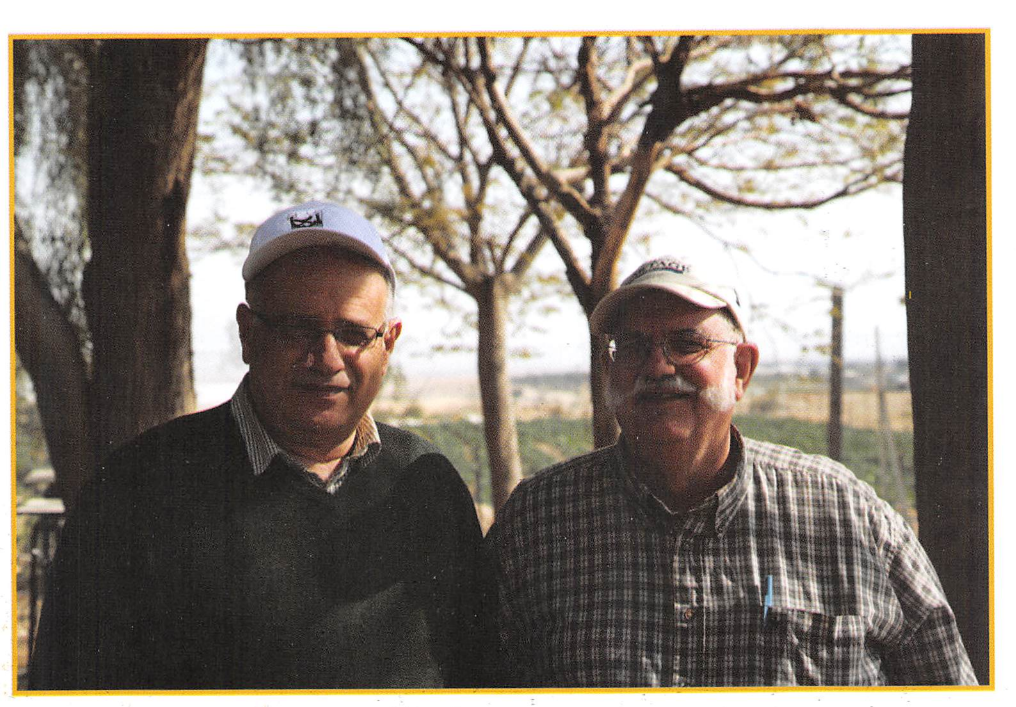
شكل 16: الكشف عن الفسيفساء في قاعة الاستقبال، 2010

سمعية-بصرية، استُخدمت فيها تقنية الرسم ثلاثية الأبعاد. كما تم تنفيذ مشروع الإضاءة الليلية للموقع سنة 2009 بالتعاون ما بين دائرة الآثار الفلسطينية وبلدية أريحا وبدعم من شركة ثورن وبلدية ليون الفرنسية.

وفي الفترة ما بين 2010-2015 جرت أعمال مسح وتوثيق وتنقيب واسعة داخل الموقع الأثري ومحيطة، وفي عام 2010، قامت دائرة الآثار والتراث الثقافي في وزارة السياحة والآثار بالكشف من جديد عن هذه الفسيفساء وتنظيفها وتثبيتها وتقييم حالة حفظها وصيانتها (شكل 16). وجرى التقاط مجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية عالية الجودة لفسيفساء القصر من قبل فريق دائرة الآثار المؤلف من: م. محمد ذياب، نضال الخطيب، سعيد غزال، رأفت شرايعة وإياد حمدان، بإشراف د. حمدان طه، وقد استُخدمت هذه الصور لتقديم هذا العرض الرائع للفسيفساء بغرض الدراسة وإظهار عظمة الفن الإسلامي المبكر. وقد نَشر د. حمدان طه ود. دونالد ويتكومب فسيفساء خربة المفجر في كتاب مستقل صدر سنة 2014 في رام الله، وأُعيد نشرُه سنة 2015 من قِبل جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقام فريق من جامعة بيرزيت بالتعاون مع دائرة الآثار تحت إشراف د. محمود هواري بإجراء مسح أثري للمناطق المحيطة بالموقع، شملت تتبّع النظام المائي وإجراء أسبار في بعض النقاط، خصوصاً في منطقة بركة المفجر التي تشكل جزءاً من النظام المائي المرتبط بالقصر.

أما التنقيبات الموسّعة في القصر فقد جرت في إطار التعاون المشترك ما بين دائرة الآثار الفلسطينية وجامعة شيكاغو في الفترة ما بين 2010-2015 (شكل 17)، تحت الإشراف المشترك للدكتور حمدان طه والدكتور دونالد ويتكومب (Taha 2011; Whitcomb and Taha 2013) مكّنت من التعرف على جوانب مهمة في تاريخ القصر. وتركزت أعمال البعثة المشتركة في المنطقة الواقعة شرق الحمّام الكبير، شملت استكشاف البوابة الشمالية للقصر، والتي كان لها دورٌ بالغ الأهمية في فهم المخطط الحضري للقصر وعلاقته بالمنطقة الشمالية المجاورة. كما توسعت التنقيبات في منطقة الحمّام الكبير التي جرت فيها تنقيبات سنة 2006 تحت إشراف د. طه وتضم منطقة خدمات الحمّام وتشمل الأتون وغُرف خزن الحطب.



شكل 17: مشرفا التنقيب في الموقع د. طه و د. ويتكومب، 2010-2014

وتجددت التنقيبات في المنطقة الشمالية (شكل 18) التي نُقّبت سابقاً من قبل دائرة الآثار الأردنية دون نشر نتائجها، وكانت تُعرف عموماً بمنطقة الخان والتي بقيت لغزاً من وجهة النظر الأثرية. وعلى مدار أربعة مواسم متتابعة كشفت التنقيبات الجديدة عن بقايا ضيعة زراعية مسوّرة، بداخلها مبان شُيّدت على الطراز الأموي، وتضم بيوتاً للسكن ومعصرةَ عنب كبيرة وخزاناتِ ماء وإسطبلات، يعود تاريخُها إلى القرن الثامن الميلادي. واستمر السكن فيها حتى زلزال 749/748م. وهي معاصرة لمجمّع القصر المجاور في الجهة الجنوبية. وعلى أنقاضها وُجدت بقايا ضيعة زراعية تعود للفترة العباسية، وتتألف من بيوت للسكن، ومسجد وإسطبلات وقنوات مائية. وتُعتبر الآثار العباسية في خربة المفجر من أكثر السياقات الحضارية العباسية حفظاً في فلسطين، وقد أُعيد استخدام حجارة القصر الأموي في بنائها، ولم يكن بالإمكان التوصل لهذه النتائج دون المشاركة الفاعلة لعلماء الآثار الفلسطينيين والدوليين.



شكل 18: صورة للمنطقة الشمالية من القصر



شكل 19: مجسّم لقاعة الاستقبال في الحمام

لقد أسهمت الأبحاث التي قامت بها دائرة الآثار بالتعاون مع الجهات المحلية والدولية في تصويب الرواية الأثرية حول الموقع سواءً في ما يتعلق بتفسيرات طبيعة الموقع وتاريخه، والتي تجسدت على وجه الخصوص في كتاب هاملتون الذي صدر سنة 1978 بعنوان «الوليد وأصدقاؤه»، بالاستناد إلى نماذج من أدبيات الشعر العربي والروايات المتأخرة في كتاب الأغاني للأصفهاني من القرن الثالث عشر الميلادي (الأصفهاني 2008). ويعكس هذا الفن طبيعةَ الحياة في الفترة الأموية المبكرة، ويشي بعلاقة متوازنة ما بين الدين والحياة.

وعلى صعيد تاريخ البحث الأثري فقد ألقت هذه الأبحاث مجدداً الضوءَ على دور د. ديمتري برامكي، منقب الموقع، الذي أبعدته ظروف النكبة سنة 1948 قسراً عن المسرح الأثري في فلسطين، وعن أبحاثه والتي نُشرت في مرحلة لاحقة بدونه. وكان من نتيجة هذا التعاون المشترك أيضاً إعادة تنظيم متحف قصر هشام في الفترة ما بين 2013-2014، والذي جرى بالتعاون ما بين دائرة الآثار الفلسطينية وخبراء من متحف جامعة شيكاغو، ومؤسسة الناشر ومكتب مدماك ليظهر بحلة جديدة، ويقدم قصة قصر هشام للزائر المحلي والدولي.

إن هذه الدراسة مدينة لتقارير وأبحاث كلٍ من برامكي وهاملتون والعاملين في متحف الآثار الفلسطيني في مرحلة الاستكشافات الأولى، وكافة المؤسسات والعلماء والخبراء والدارسين الذين عملوا في الموقع منذ سنة 1994، وأخص بالذكر الأب ميكيلة بيتشرلو من معهد الآثار الفرنسيسكاني ود. عز الدين بيشاوش وفرونيك دوج من منظمة اليونسكو والعاملين في مكتب اليونسكو في رام الله في إعداد خطة إدارة الموقع، وبدء أعمال ترميم الفسيفساء في منطقة السرداب إطار التعاون مع اليونسكو وبدعم مالي من التعاون الإيطالي، الذي ساعد في إجراء مسح للموقع بمشاركة جهاد كفافي و ف. ملساني و ر. ترفيسان وفي إنشاء مختبر الفسيفساء في الموقع سنة 1999، وتنظيم ورش تدريبية فيه تحت إشراف خبراء الفسيفساء، بمشاركة المدرب فرانكو سيكوريلي ومدير المشروع م. أسامة حمدان في الفترة ما بين 2000-2002. وقد أشرف السيد روبرتو سابيللي على تنظيم روشة ترميم الحجر سنة 2005-2006، بمشاركة العاملين في مختبر الفسيفساء في قصر هشام، وهم السادة نضال الخطيب وسعيد غزال وباسم شقير والمرحوم رأفت شرايعة.

كما شارك كلٌ من المهندسين بيتر زُمتر وجيوفاني فونتانا وروبرتو سابيللي وعمار خماش ونادية حبش في تطوير فكرة تغطية فسيفساء قصر هشام (شكل

19) في إطار التعاون مع اليونسكو (شكل 20). وأشرف طاقم مشروع تأهيل قصر هشام المكون من السادة أحمد الرجوب وإياد حمدان و م. إيهاب داود و م. محمد ذياب و م. بسام حبيشة على تنفيذ مشروع تأهيل قصر هشام بالتعاون مع خبراء مؤسسة أنيرا ووكالة التنمية الأمريكية، تحت إشراف المهندس جمال العارف، وبمشاركة المكاتب الاستشارية، وهي مكتب الدار للمهندس جورج عودة، الذي عمل على تطوير البنية التحتية خارج الموقع، ومكتب حبش الاستشاري للمهندسة نادية حبش الذي تولى أعمال التأهيل داخل الموقع. كما أشرف د. محمود هواري من جامعة بيرزيت بالتعاون مع كلية لندن الجامعية في تنفيذ مشروع مسح خربة المفجر على مدار أربعة مواسم ما بين 2010-2014.



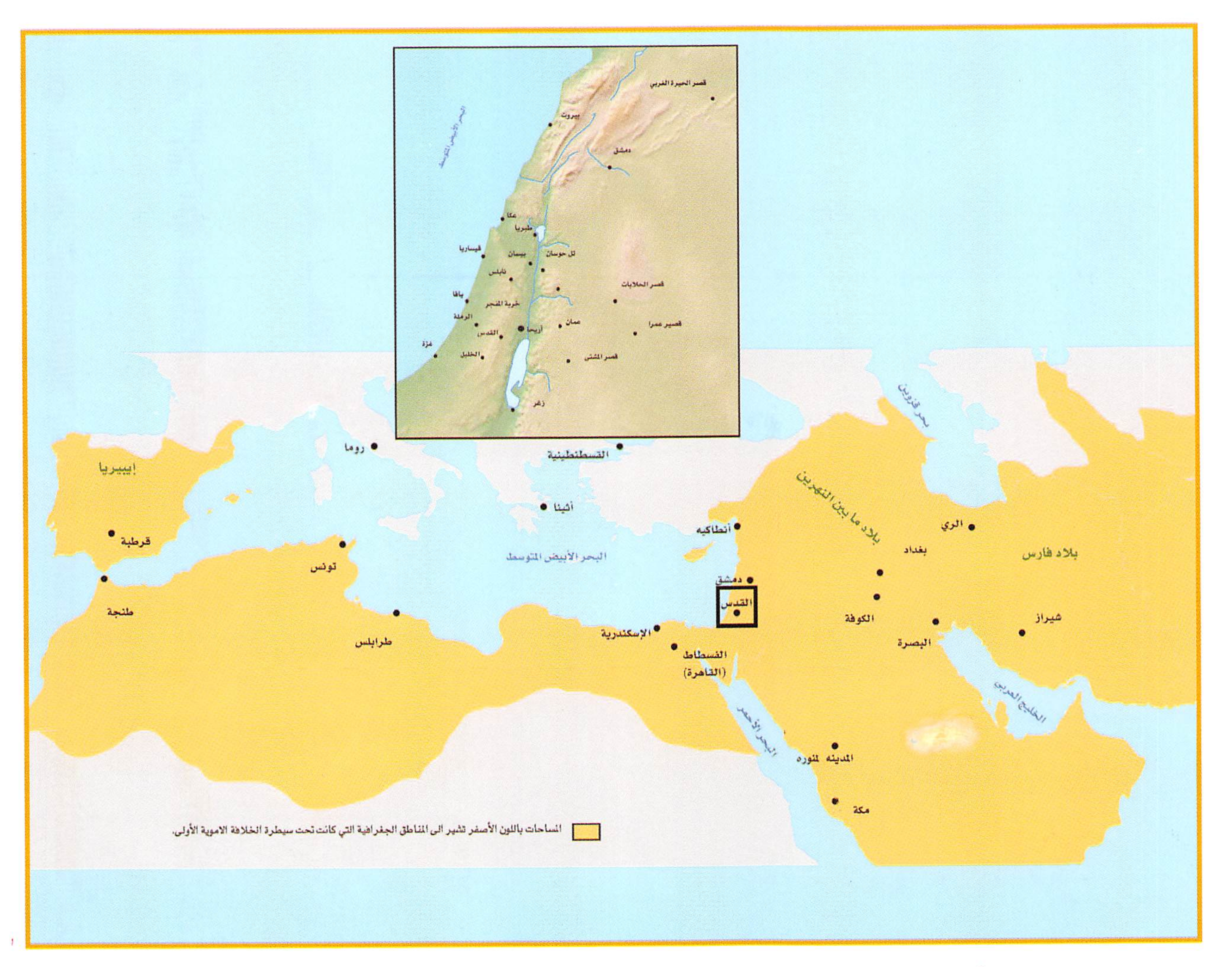
شكل 20: المعماري بيتر زُمتر مع لجنة تحكيم المنافسة

كما أخص بالشكر طاقم العمل في دائرة الآثار الفلسطينية، ومدير مكتب آثار أريحا والعاملين فيه، والفريق الذي قام بتوثيق أرضيات الفسيفساء وطاقم التنقيب المشترك المكون من دائرة الآثار ومعهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو وهم د. دونالد ويتكومب ومشرفي الحقول جهاد ياسين وعوني شوامرة ومحمد غياضة ود. أنريكو سيريللي ود. إيمان السقا وإياد حمدان ومايكل يننغ ومحمد جرادات وبسام نصاصرة وكافة المساعدين الآخرين، والشكر موصول للفريق الذي عمل على إعادة تنظيم المتحف في القصر، تحت إشراف د. جاك غرين وجهاد ياسين وبمشاركة فراس عقل ومحمد منصور وسعيد ضراغمة وعماد دودين، وإعادة تنظيم المسارات والشرح في الموقع تحت إشراف م. إيهاب داود، ومشاركة خبراء فريق مشروع «منافسة» الممول من وكالة التنمية الأمريكية وتنفيذ مؤسستي الناشر ومدماك.

لقد تمكن خبراء الآثار والترميم والإدارة من خلال التخطيط المتكامل والتعاون مع الشركاء المحليين والدوليين من تحويل هذا الموقع المهمَل في فترة الاحتلال الإسرائيلي إلى نموذج لحديقة أثرية حديثة.



الفصل الثاني: فلسطين تحت الحكم الأموي



شكل 21: خارطة الخلافة الأموية تظهر موقع فلسطين

أصبحت فلسطين جزءاً من الخلافة الأموية مترامية الأطراف (شكل 21) في النصف الأول من القرن السابع الميلادي، إثر معركة أجنادين ثم معركة اليرموك الفاصلة سنة 636 وسقوط قيسارية سنة 640. وحالما استقرت الأمور سريعاً تحت حكم معاوية بن أبي سفيان، مؤسس الدولة الأموية. وحالما انتصر العرب المسلمون، استعادت المدن أسماءها الساميّة القديمة بعد ألف سنة تقريباً، وعادت بتولمياس لتسمى عكا، وسكيثوبولس لتسمى بيسان وإيليا لتسمى القدس، وهو مختصر اسم بيت المقدس. أقام الأمويون نظامهم الإداري على أساس التقسيم الإداري البيزنطي من القرن الخامس الميلادي عموماً، الذي قسّم فلسطين إلى ثلاث مناطق إدارية: وهي فلسطين الأولى وعاصمتها قيسارية وفلسطين الثانية وعاصمتها بيسان وفلسطين الثالثة وعاصمتها البتراء وقُسمت سوريا وفلسطين الأموية بشكل عرضي إلى ثلاثة أجناد (Schick 1998, Walmsley 1987) وهي جند الأردن وعاصمته طبريا، وجند فلسطين وعاصمته اللد ثم الرملة لاحقاً، وجند دمشق، وبدورها قُسمت هذه الأجناد إلى أقسام أصغر تعرف بالكورة.

وأحداث هذه الفترة مؤرخة في المصادر التاريخية العربية والإسلامية المبكرة كتاريخ البلاذري (1959) والطبري (1987). ورغم أن التركيز كان مُنصَبّاً على مراكز الخلافة فإن فلسطين حظيت باهتمام لا بأس به في هذه الفترة المبكرة. وقد ألقت بعضُ كتابات البردى الضوء على أحداث هذه الفترة، وخصوصاً برديات نيسانا وبرديات خربة المرد التي تعود بتاريخها إلى الفترة ما بين القرن السابع والقرن العاشر الميلادي. (Kramer 1958, Grohman 1963, Donner 1986, Schick 1998).

وتمتعت فلسطين بالاستقرار والازدهار في الفترة الأموية، ويبدو أن سر هذا الازدهار يعود إلى واقع الانتقال السياسي غير العنيف، فالفتح الإسلامي لم يجلب الدمار للمدن، والمعارك الحاسمة في أجنادين وفحل واليرموك حدثت خارج المدن، واستسلمت باقي المدن دونما قتال يذكر، كما أن وتيرة الحياة في المراكز البيزنطية استمرت بصورة اعتيادية. على خلاف ما أوردته بعض المصادر المتحيزة (Schick 1998:75).

كما تجنّبت فلسطين فصول الصراعات الداخلية، وخصوصاً الصراع ما بين معاوية وعلي، 656-61 والصراع ما بين يزيد وعبد الملك ومنافسهم عبد الله بن الزبير 681-92 (Hamilton 1959). وفي هذه الفترة كانت فلسطين في مركز اهتمام الخلافة الأموية، وحظيت بعناية الخلفاء الأمويين في دمشق، وكانت القدس على الدوام محط أنظار الخلفاء الأمويين، الذين قاموا بالعديد من المشاريع الإنشائية الكبرى في فلسطين. وقد شيّد عبد الملك بن مروان قبة الصخرة في القدس ما بين 691-92، وشيد خليفتُه الوليد المسجد الأقصى سنة 710. وأسس سليمان بن عبد الملك، والي فلسطين، مدينةَ الرملة كعاصمة إقليمية لجند فلسطين. وقصر هشام في خربة المفجر الذي نحن بصدده في هذا الكتاب هو نموذج آخر على عظمة التراث الأموي في فلسطين. وتميز عصرُ هشام بن عبد الملك الذي يُنسب إليه بناء هذا القصر(شكل 22)، بالاستقرار والرخاء، وهو ينتمي بلا شك إلى قائمة الخلفاء الأمويين العظام أمثال معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان.



شكل 22: تمثال الخليفة الواقف

ومع نهاية النصف الأول من القرن الثامن الميلادي بدأ نجم الخلافة الأموية في الأُفول، فقد خبرت فلسطين إنتشار بعض الأوبئة، مثل مرض الطاعون الذي أصاب معسكر عمواس سنة 639/638 ميلادية (Schick 1998: 76)، ويبدو أن السنوات الأخيرة من الحكم الأموي شهدت بعض الاضطرابات الداخلية، ولأن النوائب لا تأتي فرادى، فقد عانت فلسطين من الزلزال المدمر الذي ضرب المنطقة سنة 749م (Tsafrir and Forster 1992)، وتسبب في هدم العديد من المدن، ويمكن مشاهدة آثار هذا الزلزال في بيسان وطبقة فحل وخربة المفجر. ترافق ذلك مع النهاية التراجيدية للخلافة الأموية وهزيمة الجيش الأموي في معركة الزاب سنة 750م أمام الجيش العباسي، وتنتقل عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد (التي تأسست عام 762م) في العراق.

وفي القرن الماضي جرَت أبحاث حول العديد من المواقع الأثرية من الفترة الإسلامية المبكرة، فقد قام (ماكس فان برشم) بدراسة النقوش العربية في القدس (Van Berchem 1922-27)، ودرس هاملتون التاريخ المعماري للمسجد الأقصى (Hamilton 1949). وبعد احتلال المدينة سنة 1967 تم الكشف عن سلسلة من القصور الأموية في المنطقة المحاذية للمسجد الأقصى، ربما تكون دار الإمارة التي دمرت بزلزال 749م. كما جرت تنقيبات في مواقع بيسان وخربة المفجر وخربة المنيا بالقرب من طبريا، وفي الأردن تم الكشف عن العديد من المواقع الأثرية من الفترة الإسلامية المبكرة مثل القصور الصحراوية وقلعة عمّان وطبقة فحل وقصر الحرانة والعقبة و أم الرصاص (Schick 1998: 75-77).

يقع قصر هشام إلى الشمال من مدينة أريحا في وادي الأردن في فلسطين، والموقع واحدٌ من أبرز المعالم الإسلامية المبكرة في فلسطين إلى جانب القدس والرملة وقصر المنيا. ومنذ تاريخ اكتشافه حظي هذا الموقع الأيقوني بمكانة مميزة في تاريخ البحث الأثري، إذ يكاد لا يخلو أي كتاب في تاريخ العمارة والفن الإسلامي من ذكر هذا الموقع، فالجمال الاستثنائي لفنون القصر كالفسيفساء والرسومات الجدارية والمنحوتات الحجرية والجصّية، التي تعتبر من روائع الفن الإنساني، شدّت انتباه الباحثين في تاريخ الفن الإسلامي، كما يعتبر قصر هشام واحداً من سلسلة القصور والحمّامات التي شيّدها الأمويون على أطراف بادية الشام مثل قصر المشتّى وقصر الحلابات وقصر الطوبة و قصير عمرة وحمّام الصرح وقصر الحير. وفي فلسطين شيّد الأمويون قصر المنيا بالقرب من بحيرة طبريا وقصر الإمارة بالقرب من المسجد الأقصى في القدس، ولا شك أن هذه القصور كانت سياسية واقتصادية ومراكز للراحة والاستجمام، وترمز إلى الحنين للصحراء وحياة البداوة (Baramki 1953: 118)، وهذا ما عبّرت عنه بيتَ ميسون بنت بحدل زوجة معاوية وأُم يزيد شعراً:

لبيت تخفق الارواح فيه أحب الي من قصر منيف

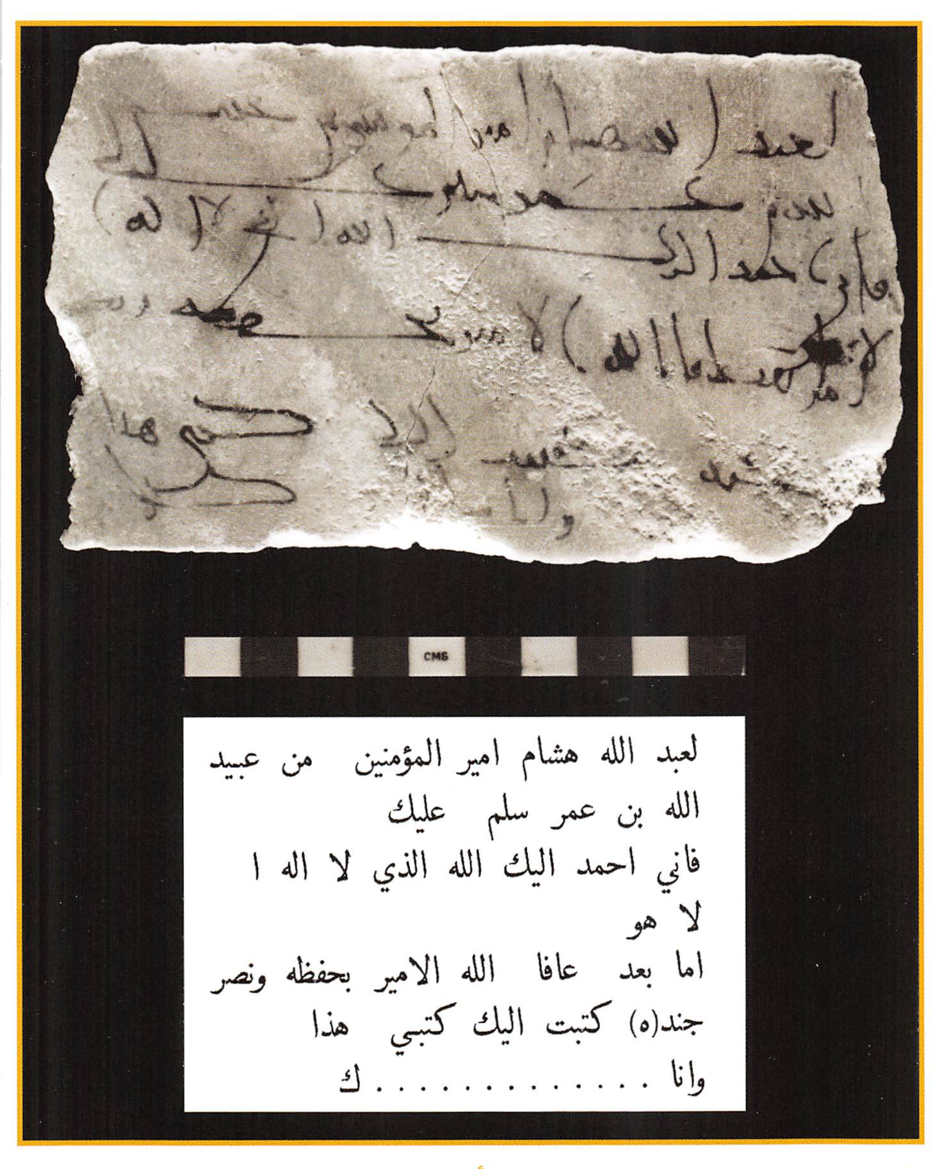
إن انتشار هذه القصور على أطراف بادية الشام يجعل منها نقطةَ لقاء مع القبائل العربية المنتشرة في هذه المناطق، ومراكز اقتصادية للأرستقراطية الأموية التي أسّست ضِياعاً زراعيةً في فلسطين، ويتجلى هذا في اختيار موقع قصر هشام وسط سهول زراعية خصبة، وأنظمة المياه المرتبطة بها، والضيعة المتصلة بالقصر والمرافق المكتشفة فيها كمعصرة العنب الضخمة والإسطبلات هي شواهدُ على الطبيعة الاقتصادية لهذه القصور. التي لعبت دوراً مباشراً في إدارة الأنشطة الزراعية والاستفادة من ريعها. كما لعبت دوراً مهماً في تكوين العمارة الإسلامية في فلسطين.

ومنذ تنقيبات خربة المفجر جرت اكتشافات أثرية من الفترة الإسلامية المبكرة في عشرات المواقع الأثرية في فلسطين وبلاد الشام. وشهدت العقود الأخيرة اهتماماً ملحوظاً بآثار هذه الفترة.

يقدم هذا الكتاب عرضاً لتاريخ موقع قصر هشام في خربة المفجر، وتاريخ استكشافه وعمارته وفنونه، وما يمثله من عالَم أموي مفعم بالحياة والجمال. ويتجلى ذلك في كافة مناحي الحضارة المادية.



الفصل الثالث: وصف الموقع



شكل 23: نقش على لوح رخامي يذكر اسم هشام أمير المؤمنين

يقع قصر هشام على الضفة الشمالية لوادي نويعمة، على بعد 4 كم إلى الشمال من مدينة أريحا في وادي الأردن (Taha and Qleibo 2010)، كما ويُعرف الموقع بأطلال خربة المفجر. ويبدو أن اختيار الموقع جاء في بقعة مطلة على سهل وادي الأردن لم تكن مأهولةً سابقاً (Baramki 1953: 3). وقد نُسب القصر إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (724-743م/ 105-125هـ) استناداً لبعض الدلائل الكتابية المكتشفة في الموقع، وأهمها نقشٌ يذكر اسم هشام أمير المؤمنين (شكل 23)، ويعتقد هاملتون بأن الوليد بن يزيد هو الذي شيّد هذا القصر قبل فترة حكمه القصيرة التي امتدت من 743-744م (Hamilton 1959: 61-66, 1993: 922-929). وهي بلا شك فرضية ضعيفة، ويُرجّح أن يكون هشام بن عبد الملك هو الذي شيّد هذا القصر، استناداً إلى النقوش التي ظهرت في الموقع، خلال فترة حكمه المزدهرة التي امتدت لعقدين من الزمن. وتشير نتائجُ التنقيبات التي أُجريت في منطقة الحمّام، إلى فترة استخدام طويلة نسبياً، بما يوحي أن إنشاء المجمّع والقصر، جرى على مراحل، ربما امتدت لبضعة عقود من الزمن، وقد تكون سابقة لفترة حكم هشام نفسه، فالدرهم الفضي المكتشَف في الموقع من ضرب دمشق مؤرخ في 86 هجرية، اي 705 ميلادية، وهي السنة الأخيرة من حكم الخليفة عبد الملك بن مروان والسنة الأولى من حكم الوليد بن عبد الملك (Taha 2011)، وهي مسألة تبقى مفتوحةً من وجهة النظر التاريخية في ظل غياب مصادر تاريخية إضافية. وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى الملاحظة التي أوردها هاملتون (Hamilton 1988: 175) منسوبة إلى روبرت شيك، والتي يروي فيها مؤرخ سرياني من القرن الثالث عشر أن الخليفة سليمان بن عبد الملك (715-717م) قد شيّد مبانٍ بالقرب من جدول في أريحا، فيها جسور وبساتين وطواحين، وقد هُدمت جميعها بزلزال عظيم. وقد توفي سليمان بن عبد الملك قبل تولي هشام الحكم بسبع سنوات.

لم يكن هذا المبنى الفخم المقر الرسمي لإقامة الخليفة، ولكنه استخدم على الأرجح كمنتجع شتوي للراحة والاستجمام على أطراف بادية الشام (الريحاوي 1990: 78-82). وهو تقليد عرفه الحكام قبل قدوم الأمويين إلى فلسطين، إذ كانت أريحا مقراً شتوياً للحكم في الفترات اليونانية والرومانية أيضاً، يدل على ذلك

سلسلة القصور الهلنستية في موقع تلول أبو العلايق، وتقديم القائد الروماني مارك أنتوني أراضي أريحا إلى حبيبته الملكة كليوبترا، كذلك سلسلة القصور الشتوية التي شيّدها الملك هيرود في موقع تلول أبو العلايق على ضفاف وادي القلط في أريحا.

وقد دُمِّر هذا القصر العظيم جراء الزلزال العنيف الذي ضرب المنطقة في العام 749/748م/ 131هـ (Baramki 1944)، والذي تزامن مع زوال حكم الخلافة الأموية في دمشق وبدء حكم الخلافة العباسية في بغداد. ولا شك أن فرضية دمار القصر قبل اكتمال بنائه لا تؤيدها الدلائل الأثرية، وأن مرافق القصر والحمّام ومناطق الخدمات المجاورة كانت مستخدمةً لفترة من الزمن، بما مكّن من تراكم الطبقات الكلسية وإجراء الترميمات والإصلاحات في مرافق الحمّام. وبعد فترة من الهجر إثر الزلزال، استمر استخدام الأجنحة غير المدمرة في الفترة العباسية (القرنان التاسع والعاشر)، وتشير الدلائل الأثرية إلى آخر فترات استخدام الموقع في الفترة الأيوبية (القرن الثالث عشر) ومن ثم هجره نهائياً. وقد استُخدم الموقع لاحقاً كمقلع للحجارة الجاهزة لحين استعادة استكشاف الموقع في أواخر القرن التاسع عشر، والذي مهد لأعمال التنقيب العلمية التي قامت بها دائرة الآثار الفلسطينية في عهد الاحتلال البريطاني في الثلاثينيات من القرن الماضي، والتي تجددت سنة 1994 على يد دائرة الآثار الفلسطينية الحالية.

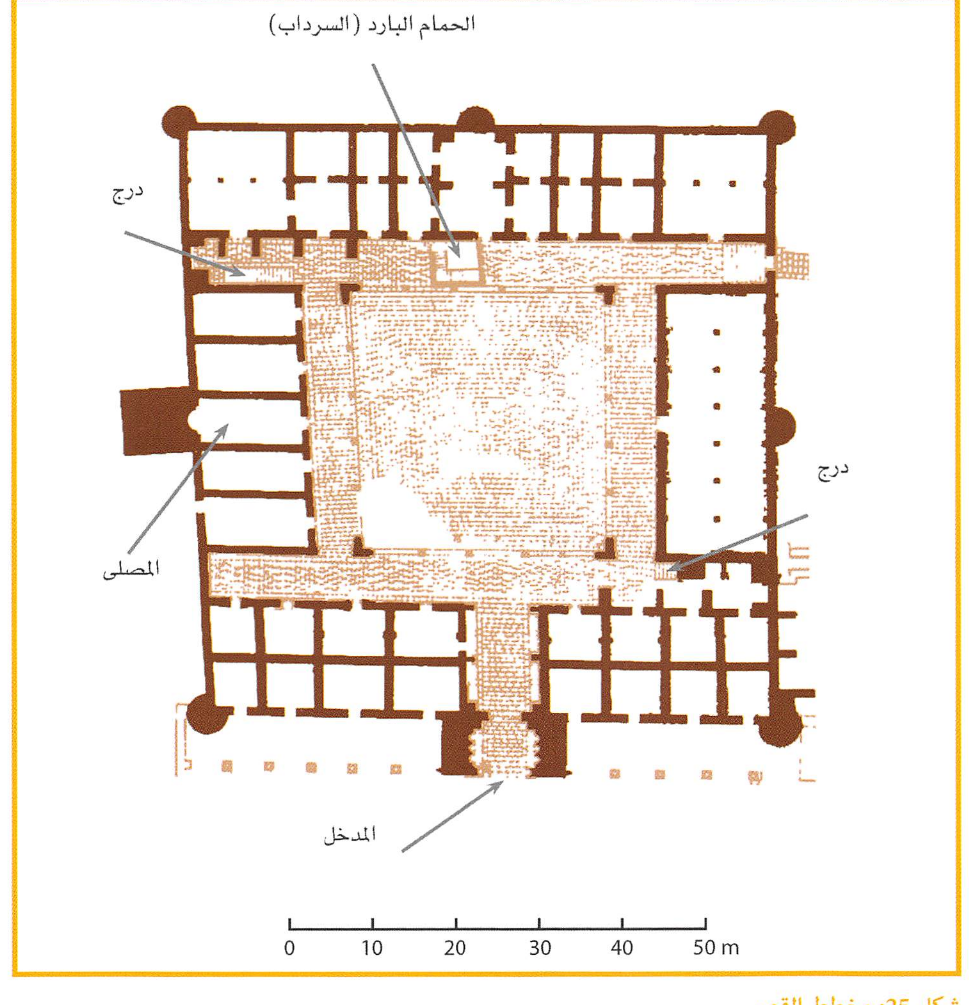
القصـــر

يتألف الموقع من القصر وقاعة الاستقبال والحمّام الساخن والمسجد (شكل 24)، كذلك النافورة الكبيرة في وسط الساحة المسوّرة (Baramki 1947, Hamilton 1959, Creswell 1969: 545-577; Grabar 1955: 228-235, 93-108). البنايات الثلاث الرئيسية تمتد على محور على امتداد الجهة الغربية من الساحة الأمامية للقصر؛ حيث البوابة الجنوبية مدخل القصر من جهة مدينة أريحا، أما البوابة الشمالية فتفضي نحو الضيعة، وتقع النافورة في وسط الساحة الأمامية للقصر. وأول هذه المباني هو القصر الذي شُيّد بالحجارة المشذّبة المقطوعة من الحجر الرملي المحلي الطري. كما استُخدمت الحجارة الرملية المنحوتة والآجر في تشييد كافة المباني، إلى جانب السقوف الخشبية المقنطرة والمغطاة بالقرميد. أما الأرضيات فهي مرصوفةٌ بالحجارة القارية (حجارة النبي موسى) أو الفسيفساء البيضاء أو المِلاط.

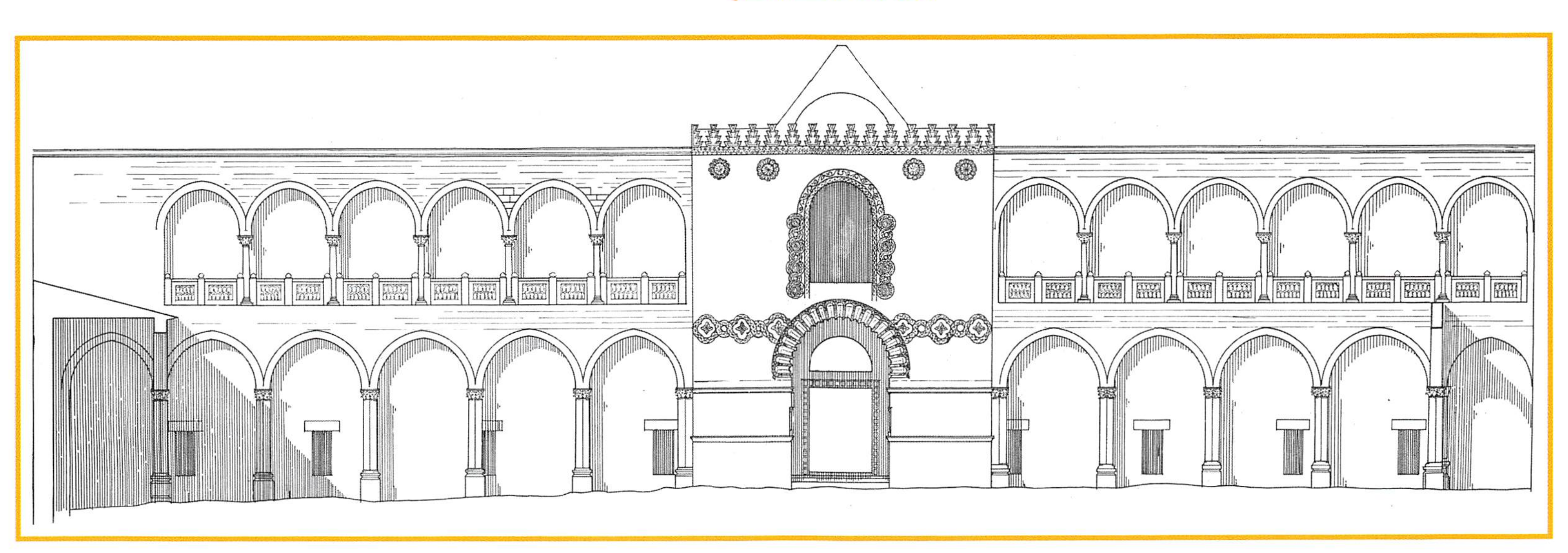
خربة المفجر
(قصر هشام)
الضيعة 3
بيوت السكن
الإسطبلات 7
المسجد 8
معصرة العنب 6
البيت العباسي 5
منطقة تنقيب 4
2006
منطقة تنقيب 2
حمّام
الديوان
البوابة الشمالية 1
قاعة الاستقبال
المسجد الكبير
النافورة
سور القصر
القصر
الساحة المركزية
السرداب
الساحة الأمامية
البوابة الجنوبية
0 10 20 30 40 50 M

شكل 24: مخطط الموقع

أما القصر فيتألف من بناء مربع ذي طابقين مع أبراج دائرية عند زواياه (الأشكال 25-26). جرى بناؤه حول ساحة مركزية محاطة بأربعة أروقة مقببة (الأشكال 27-28) (Baramki 1953: 9-58; Hamilton 1959: 9-39, Taha 1995:318-321). وكان الدخول إلى القصر من خلال ممر معقود تحيط به مقاعد حجرية مزخرفة من الجهتين (شكل 29). ويوحي ترتيب غرف الطابق الأرضي (شكل 30) بأنها كانت تُستخدم للضيوف والخدم بالإضافة إلى الخزن. وفي الجهة الجنوبية يوجد مسجد صغير بمحراب يتجه نحو القبلة. من الممكن أن يكون المسجد القديم قد اشتمل على هذه الغرفة بالإضافة إلى غرفتين ضيقتين على جانب كل منهما، ليتشكل في النهاية مسجداً كبيراً وواسعاً. لاحقاً وبعد بناء المسجد الجديد شمال القصر، أصبح المسجد القديم مقصورةً للصلاة وغرفاً للخزن. إن الأدراج الواقعة على الزاويتين المتقابلتين للساحة تفضي للوصول للغرف في الطابق العلوي، حيث تشير الدلائلُ المكتشفة إلى أنها استخدمت للمعيشة والسكن. بعض غرف الطابق العلوي المطلة على الساحة الشرقية كانت مزينةً برسومات جدارية، ويتضح ذلك من خلال العثور في منطقة الهدم على العديد من كسر قصارة الجدران التي تحمل نماذجَ ورسومات نباتية وتصويرية.



شكل 25: مخطط القصر



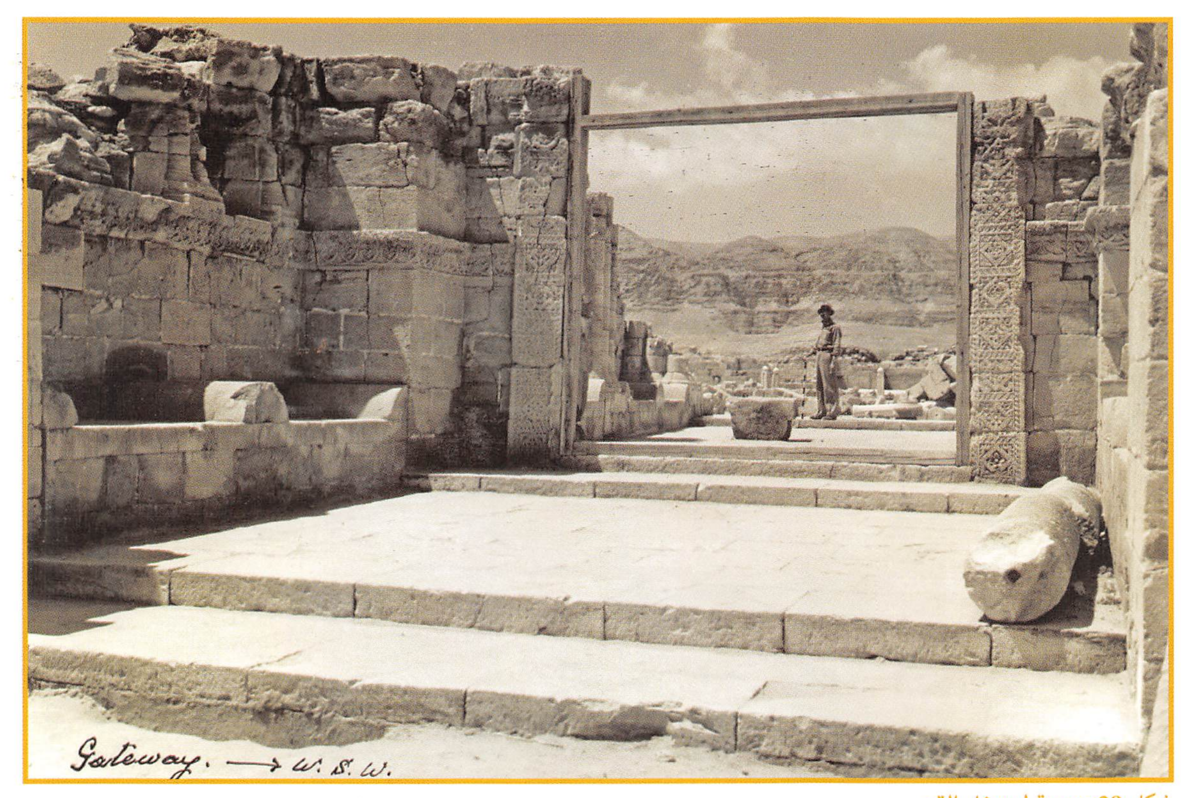
شكل 26: واجهة القصر الشرقية



شكل 27: صورة عامة للقصر



شكل 28: صورة لساحة القصر تُظهر الجانب الجنوبي الشرقي



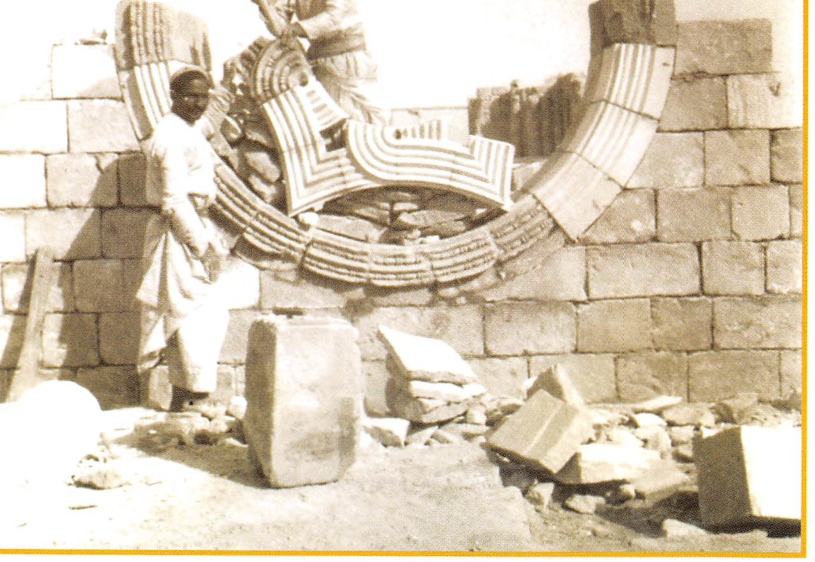
شكل 29: صورة لمدخل القصر



شكل 30: صورة لإحدى غرف القصر الغربية

شكل 31: صورة للساحة تُظهر النجمة السداسية

عُثر أثناء التنقيب في ساحة القصر على قطع حجرية متناثرة تشكل نجمةً سداسية (شكل 31)، وهي مزخرفة بشكل العقدة، وتعود على الأرجح إلى نافذة حجرية في الطابق العلوي للقصر، وهي تشبه النماذج الوردية التي اشتهر بها الفن الإسلامي، ويُعتقد أن النوافذ الوردية في الكتدرائيات الأوروبية في العصور الوسطى قد اقتُبست منها. وقد قام حرفيون فلسطينيون بإعادة تركيب هذه النافذة في ساحة القصر (شكل 32-33)، وهي تعتبر من أشهر رموز أريحا التراثية.



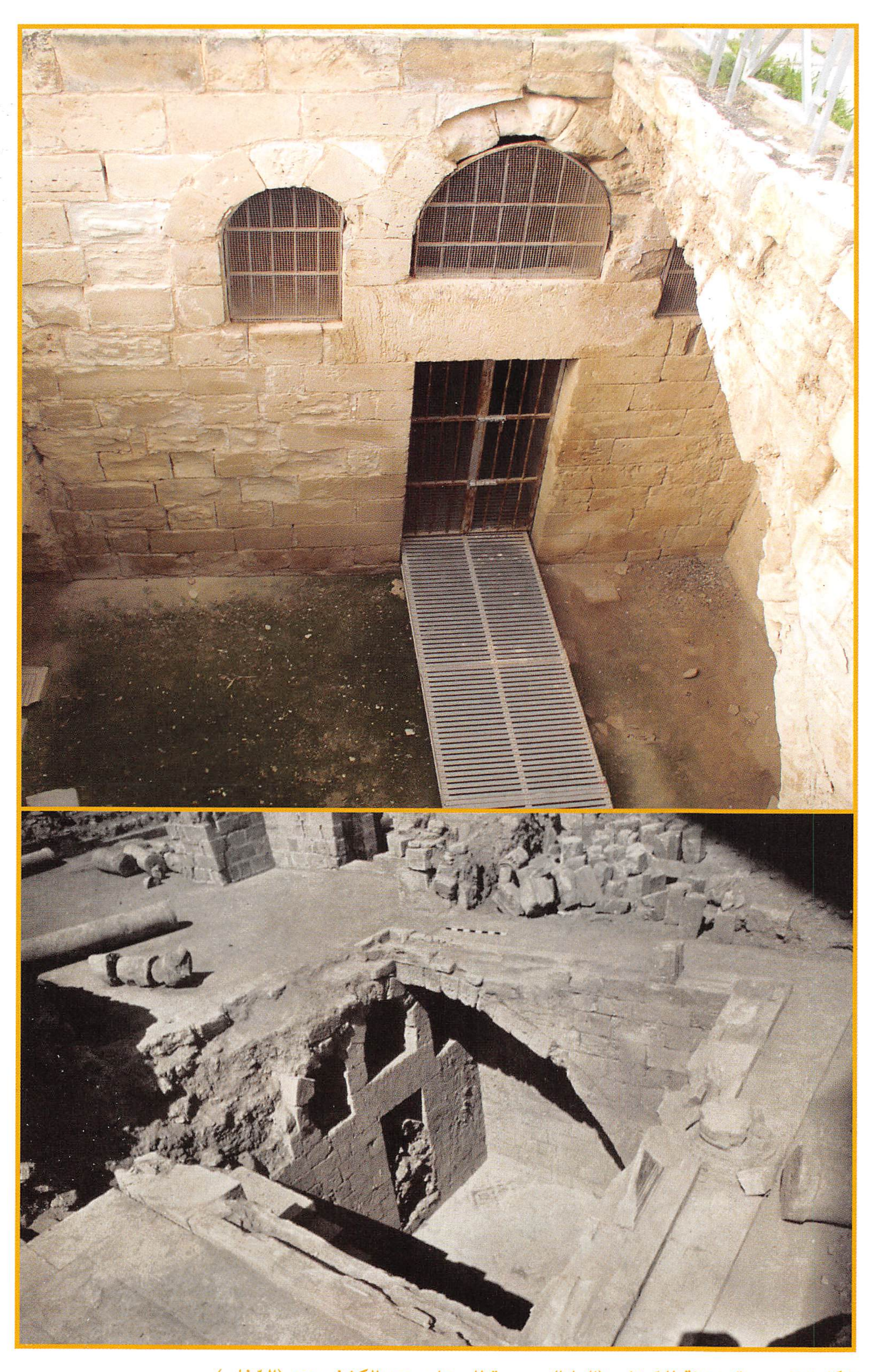
شكل 32: صورة أرشيفية لترميم النجمة السداسية



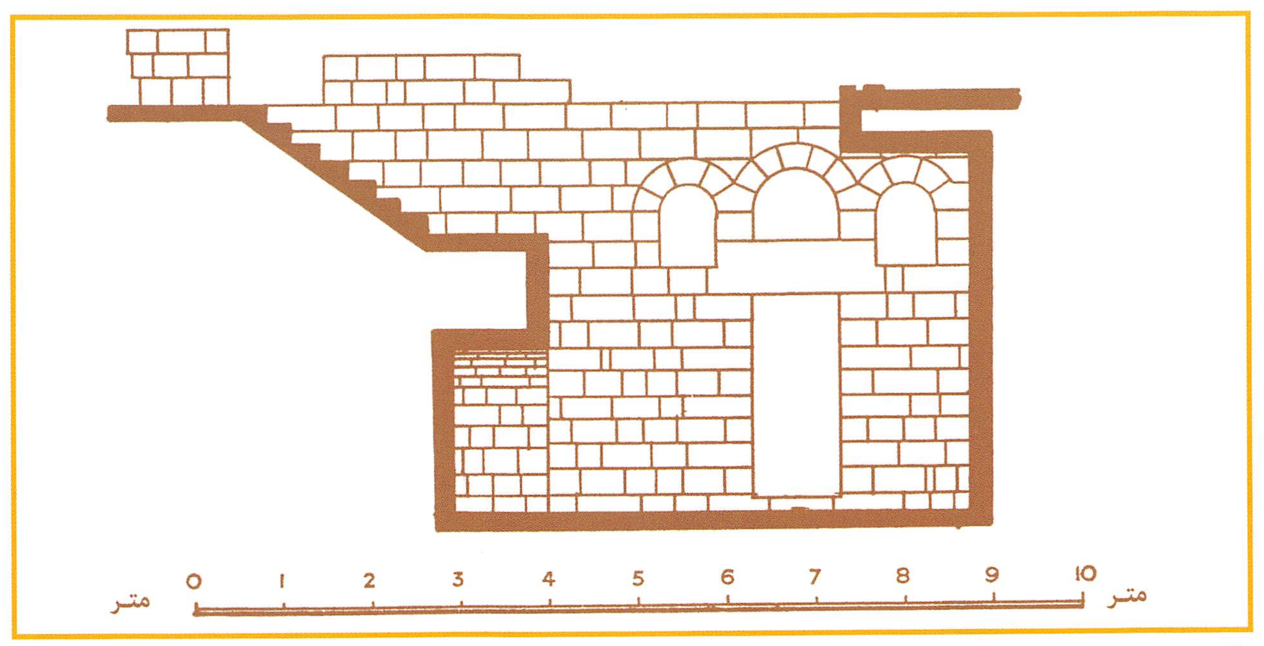
شكل 33: صورة النجمة في وسط الساحة

الحمّام الصغير (السرداب)

يقع الحمّام الصغير (السرداب) في الجزء الغربي من الساحة المركزية للقصر (شكل 34)، وهو يقع في منطقة السكن، ويبدو أنه كان مخصصاً للخليفة وعائلته. ويُفضي درج حجري إلى ردهة أرضية أمامية مرصوفة بالفسيفساء البيضاء، والردهة تؤدي إلى حجرة مستطيلة ذات عقد برميلي، (الأشكال 35-36). وتتكون من غرفة المياه الباردة وفيها مقاعد للجلوس حول الجدران وأرضيات فسيفسائية ملونة، ثم بركة للسباحة في نهاية السرداب وصنبور للمياه، ويتزود الحمّام الصغير بالمياه الباردة من نبع النويعمة عبر القنوات التي تنقل المياه إلى قصر هشام. (Hamilton 1959: 31-33, Baramki 1953: 25-29).



شكل 34: صورة حديثة للسّرداب (العليا)، وصورة للسرداب بعد الكشف عنه (السّفلى)



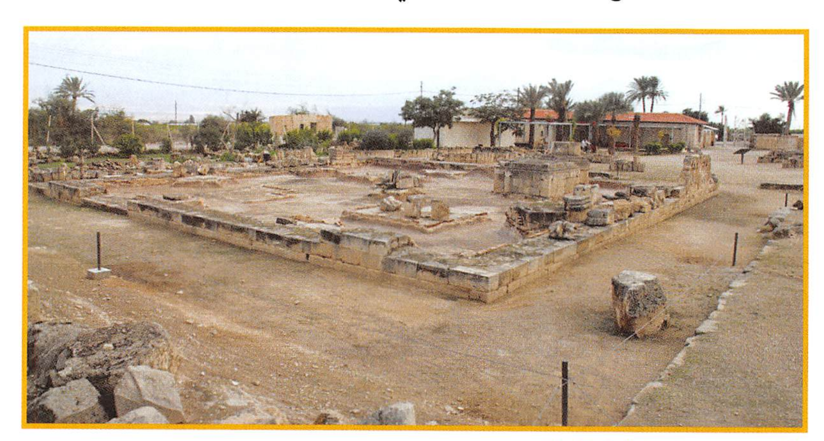
شكل 35: رسم واجهة السّرداب



شكل 36: الدرج المؤدي للسّرداب

الساحة الأمامية والنافورة (الحوض المزخرف)

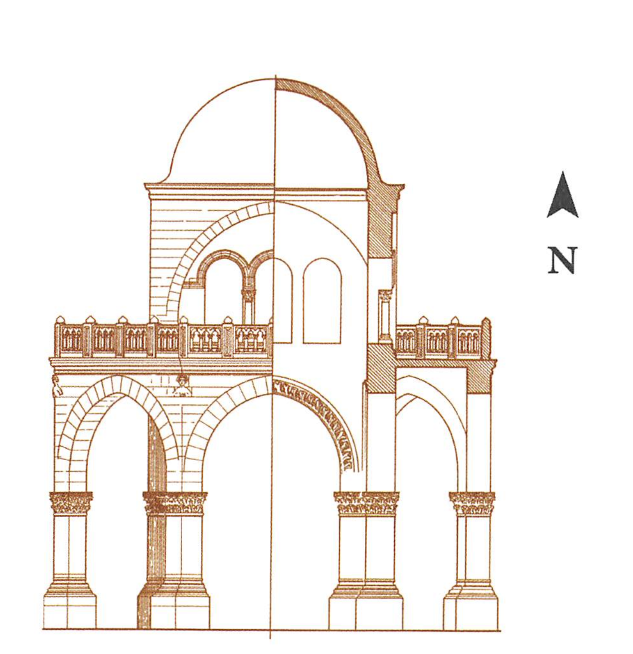
تقع النافورة وكذلك الحوض المزخرف في مركز الساحة الأمامية بين البوابتين الجنوبية والشمالية (شكل 37)، وهي تطل على الحير والبساتين الشرقية للقصر. وهو عبارة عن الحوض المزخرف (شكل 38)، وهو بناء مقبب يغطي بركة ماء ونافورة، وصفه برامكي على أنه شادوران ويقوم على مخطط أرضي مربع، يعلوه سقف مثمّن الأضلاع (Baramki 1953: 39-41; Hamilton 1959: 110-111) وقد شُيّد فوق أربع دُعامات وقواعد ضخمة موصولة ببعضها من خلال حلقتين من الأقواس، ويعلوه بناء علوي على شكل غرفة مقببة (شكل 39). هنالك شرفة (بلكون) تعلو الأقواس تحيطها دُعامات صغيرة تأخذ الشكل المثمن لحمايتها وتدعيمها. ويعتقد برامكي بأن مخطط الشادوران ربما استُلهم من مخطط قبة الصخرة في القدس، وهو النموذج الوحيد المكتشَف في السياقات الأموية حتى الان.

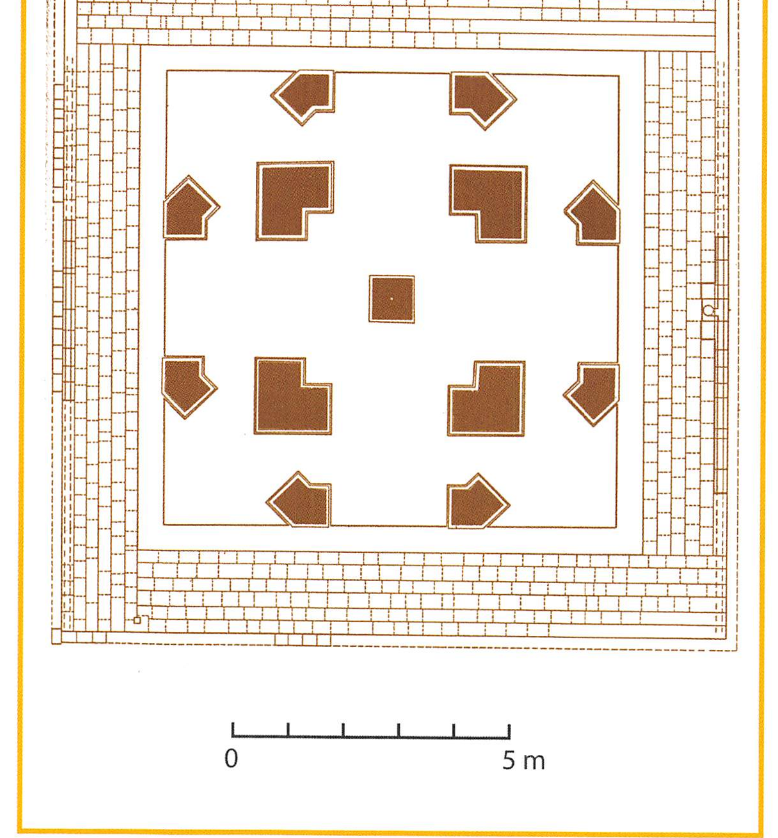


شكل 37: صورة عامة للنافورة



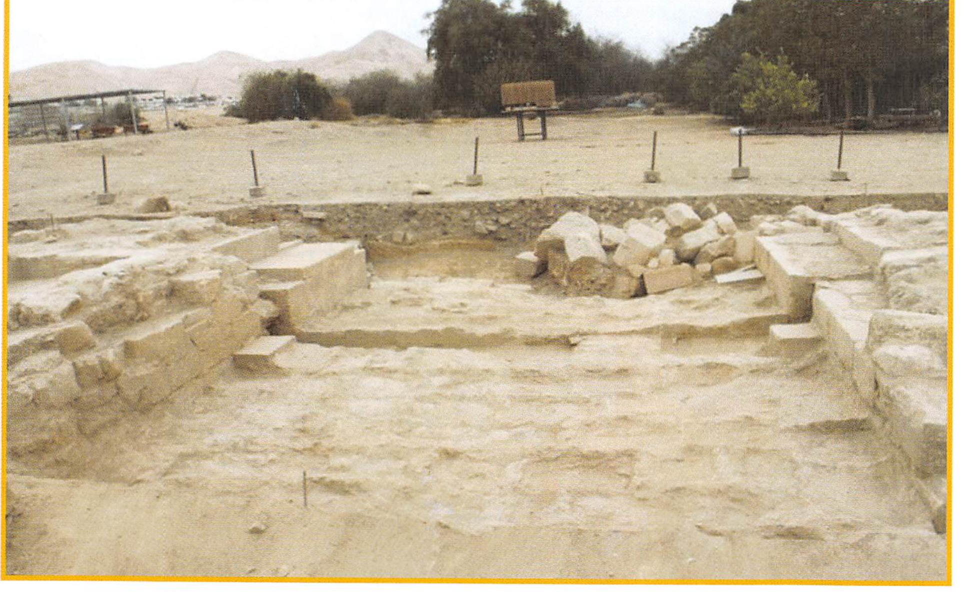
شكل 38: صورة لدرابزين الشرفة العليا في الحوض المزخرف





شكل 39: مخطط ومسقط النافورة

السور وبوابات القصر



شكل 41: البوابة الشمالية للقصر

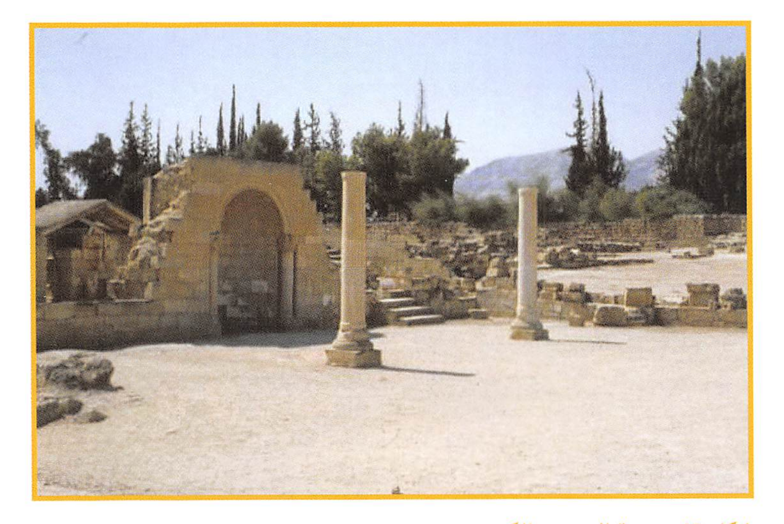
شُيّد القصر داخل سور يحيط بالموقع، تزينه سلسلة أبراج غير دفاعية، تم الكشف عنه في الطرف الجنوبي والغربي من القصر (شكل 40)، ويتواصل السور في المنطقة الشمالية مع امتداد منشأة الحمّام الكبير، ويمتد شرقاً مع خط البوابة الشمالية، ولم يُكشف عن السور في الجهة الشرقية، والتي يغلب الظن أنها كانت مفتوحة على منطقة الحير تمتد بعمق 2 كم باتجاه الأراضي الزراعية شرقي القصر. والسور مشيّدٌ بالحجر الرملي المستخدَم في بناء منشآت القصر، وقد وُجد محفوظاً على ارتفاعات متفاوتة، وقد جرت إعاة بناء للأجزاء العلوية من السور في المنطقتين الغربية والجنوبية، ويمكن تمييز إعادة البناء من الواجهة الداخلية المبنية بحجارة الحقول. تم الكشف عن البوابة الجنوبية للقصر أثناء التنقيبات التي أجراها برامكي في عقد الثلاثينيات من القرن الماضي، ويحيط بالبوابة برجان شبه دائريين، وكانت تصل الموقع بمدينة أريحا، وكان الاعتقاد سائداً بأنها البوابة الوحيدة للقصر. وقد تغيرت صورة المخطط الحضري للقصر مع اكتشاف البوابة الشمالية للقصر سنة 2010 (Whitcomb and Taha 2013)، والتي شُيّدت على نفس محور البوابة الجنوبية للقصر (شكل 41). ويتوسط البوابتين النافورة في وسط الساحة الأمامية، وتصل هذه البوابة مجمّع القصر بالضيعة الشمالية

شكل 40: صورة جوية تُظهر أسوار القصر

المدخل
المصلى
المحراب
درج الى القصر
N
0 10 20 m

شكل 42: مخطط المسجد الكبير

والأراضي الزراعية المحيطة. وهي تشبه مخطط البوابة الجنوبية التي تم اكتشافها في ثلاثينيات القرن الماضي والموجودة عند المدخل الحديث للموقع. ويحيط بالمدخل برجان شبه دائريين، يضمان غرفاً للحرس، وتحُفّ بها مقاعد للانتظار نُقش على إحداها لعبة «السيجة». وقد دُمرت البوابتان بواسطة زلزال 749م، بعد فترة حياة قصيرة. وفي الفترات اللاحقة انتُزع كثير من بلاط الأرضية، والذي أُعيد استخدامه في مباني الضيعة الشمالية في الفترة العباسية، ما عدا الجزء الذي كان تحت عقد البوابة المنهار إثر الزلزال الذي ضرب الموقع سنة 749م. وليس واضحاً إذا ما كانت ثمة بوابات أخرى في الجهة الشرقية للقصر باتجاه الحير.



شكل 43: صورة المسجد الكبير

المسجد الكبير

يقع المسجد الكبير في مكان متوسط ما بين القصر والحمّام الكبير والساحة الأمامية. ويلتصق المسجد الكبير ذو الشكل المستطيل (الأشكال 42-43) بالجدار الشمالي للقصر، (Hamilton 1959: 106-109)، سقف المسجد كان مدعّماً بصفين من ثلاثة أقواس، وكل قوس يرتكز على أعمدة، للمسجد محرابٌ بعمودين جهة الجدار الجنوبي باتجاه القِبلة، ويوجد مدخل صغير يربط المسجد بالقصر، ويعتقد بأنه مدخل خاص بالخليفة. لقد كان المسجد بحالة سيئة من الحفاظ، بينما المسجد الحالي كان قد أعيد بناؤه وترميمهُ في ستينيات القرن الماضي.

الحمّام الكبير

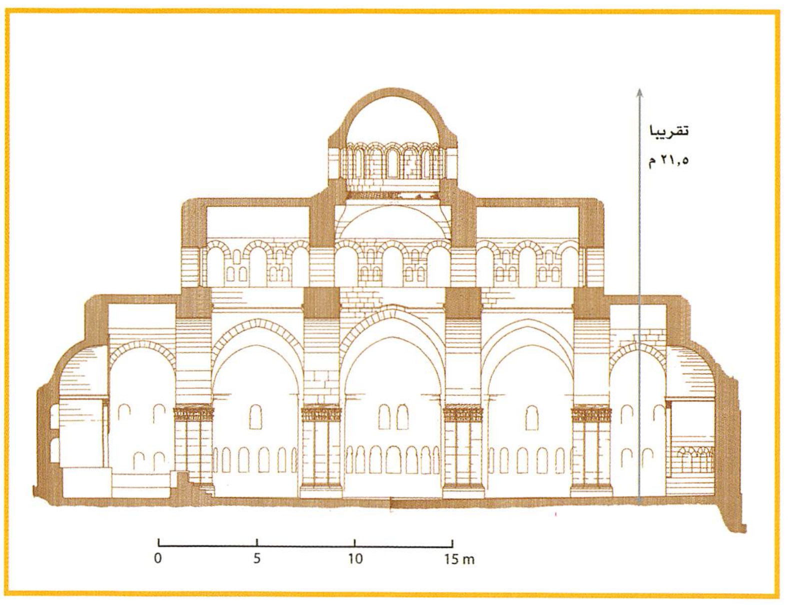
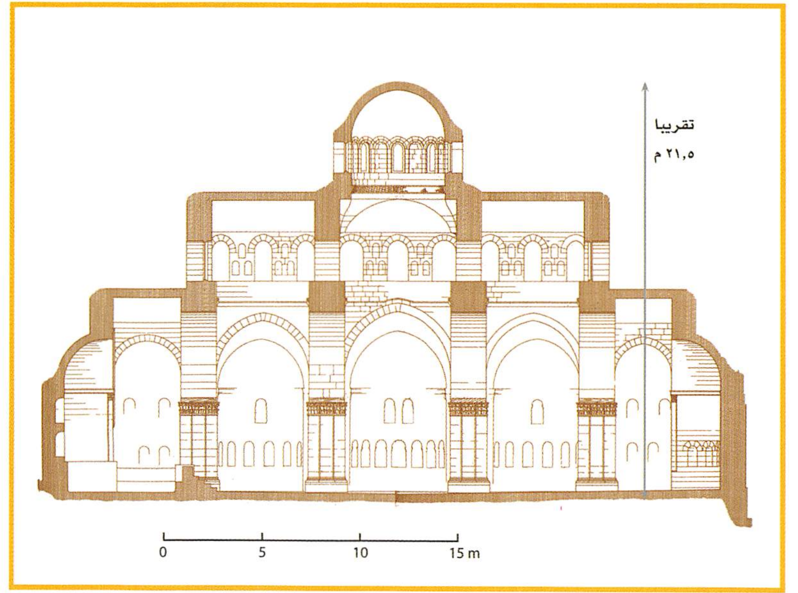
يقع الحمّام وقاعة الاستقبال على بعد 40 متراً إلى الشمال من القصر (شكل 44) وهو قريب من المسجد الكبير في القصر، ويعتبر الحمّام مبنىً فريداً من نوعه ومميزاً لفن العمارة الإسلامية المبكر. والمدخل الرئيسي للحمام من الجهة الشرقية، وهو عبارة عن ممر مسقوف، يُفضي إلى قاعة استقبال فخمة ومقبّبة تتألف من قبة مركزية ضخمة وقباب متعددة أصغر حجما، وله أحدَ عشرَ حِنية على طول جدرانه. وتوجد مداخلُ فرعية عند نهايتي الجدار الشرقي وفي الزاوية الجنوبية الغربية، والأخير يتصل بالقصر مباشرة عبر الممر المسقوف. وهو في أغلب الظن ممرٌ خاص بالخليفة. ويتألف الحمّام من سلسلة من غرف الاستحمام الساخنة الملاصقة له من الخارج من الجهة الشمالية، يوحي نمط تخطيط غرف المياه الساخنة والفاترة بأنها ضمن سياق الحمّامات المكتشفة في العديد من الحمّامات التي تؤرخ للفترة البيزنطية والإسلامية المبكرة. ويحمل الحمّام كافة عناصر الحمّام الروماني (Baramki 1953: 39).



شكل 44: صورة جوية للحمّام الكبير

يُظهر مخطط الحمّام (Baramki 1953: 60-61) بأن قاعة الاستقبال المربعة (شكل 45-46) هي العنصر الرئيس في الحمّام، وأبعادها 30x30م، وهي مزودة بثلاث حِنيات نصف دائرية عند كل جهة (شكل 47)، وهي أكبر بكثير من أي قاعة حمّام مماثلة أو معاصرة (Hamilton 1959: 45-103: 1993: 923-924).

شكل 45: مخطط الحمّام الكبير

شكل 46: مسقط داخل الحمّام الكبير

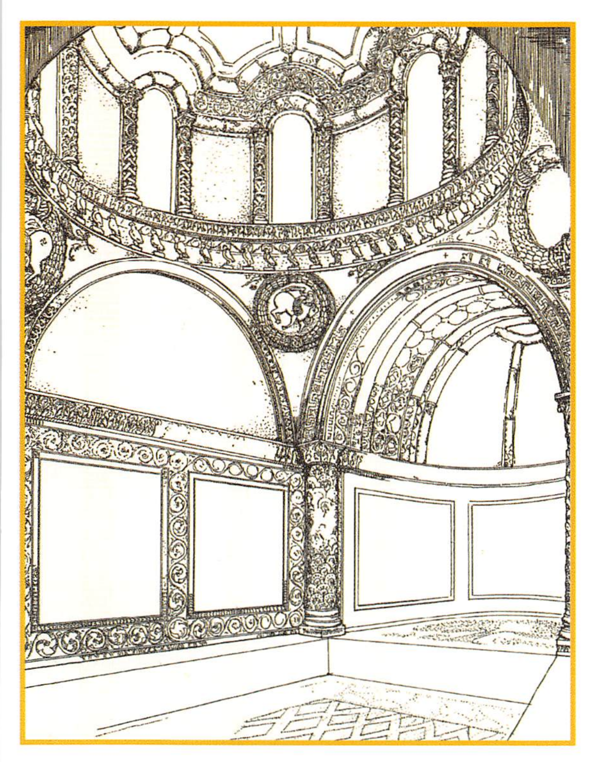
شكل 47: الحنية الغربية في قاعة الاستقبال

يتألف نظام السقوف المقبّبة والمعقودة في الحمّام من أقواس من الآجر المرتكزة على ست عشرة دعامة حجرية ضخمة (شكل 48) تقع في أربعة صفوف (Hamilton 1959: 67-74). وتحمل هذه الدُعامات والقواعد الأقواس من كافة الإتجاهات (شكل 49)، وقد صُممت بطريقة يتقاطع فيها صفّان عند المركز. وفي الجهة الجنوبية من الحمّام أُضيفت في مرحلة لاحقة بركة سباحة، وقد رُصفت أرضية القاعة بالفسيفساء الملونة (شكل 50) وتمتاز الحِنية المركزية في الواجهة الغربية المقابلة للباب بوجود محاريب على شكل حذوة فرس. وكان المدخل الرئيس للحمّام من الجهة الشرقية عبر قوس مفتوح ومرتفع

شكل 48: الدّعامات الحجرية في قاعة الاستقبال



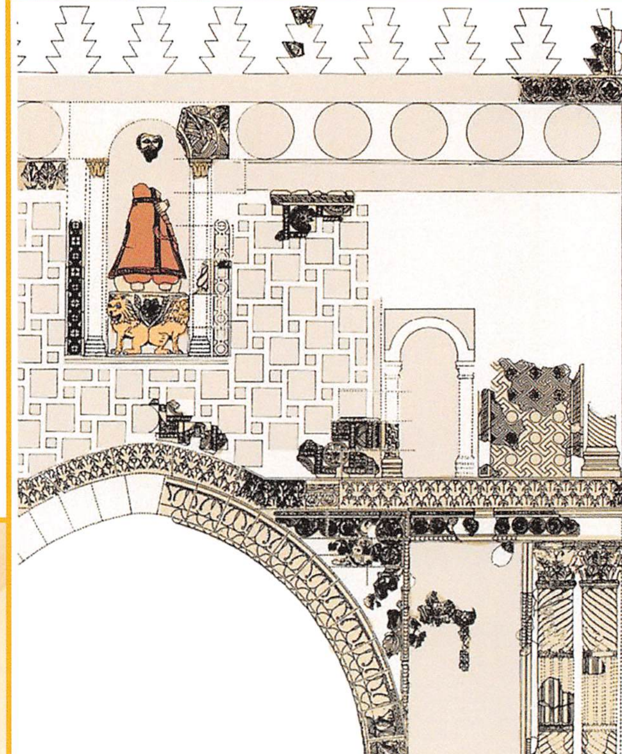
شكل 50: أرضية فسيفساء قاعة الاستقبال



شكل 49: رسم تخيّلي للأقواس والقبّة

(شكل 51)، تعلوه قبة كُروية ترتكز على رقبة أُسطوانية تم تخفيف ثقلها بواسطة أربعة عشر محراباً، وُضعت فيها تماثيلُ جصّية. كما أن جدران الممر المسقوف كانت مغطاةً بزخارف جصّية (شكل 52) من الداخل والخارج.

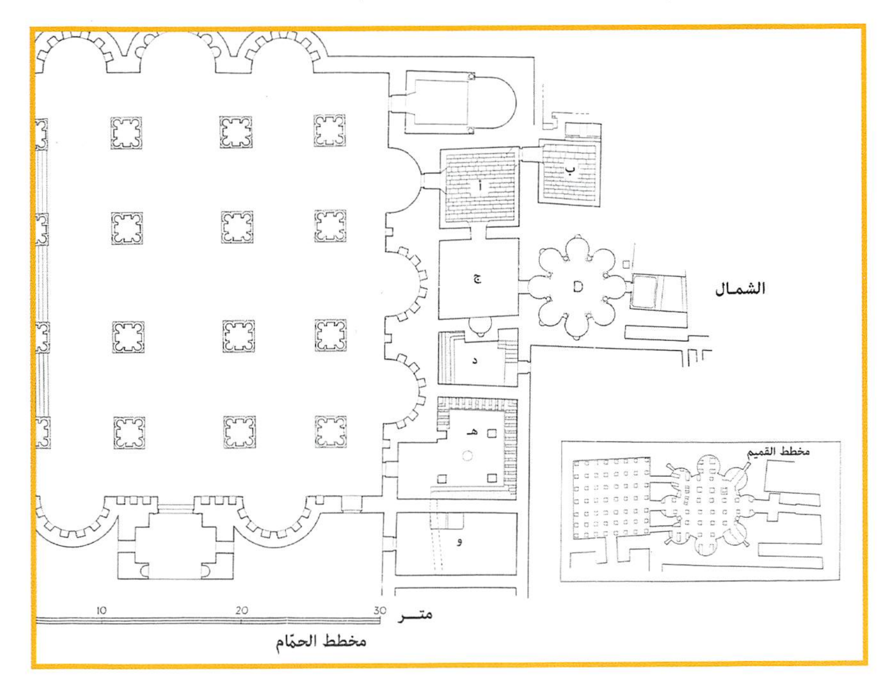
وعلى امتداد الجهة الشمالية لقاعة الاستقبال، هناك سلسلة من الغرف الصغيرة، يمكن الوصولُ إليها من ثلاثة أبواب. وفي الحنية الملاصقة هناك باب يوصل إلى أربع غرف متصلة (مشار إليها «أ» و «ب» و «ج» و «د») على



شكل 51: تَصّور هاملتون للمدخل الشرقي قاعة الاستقبال

شكل 52: الزخارف الجصّية على مدخل الحمّام الشرقي

مخطط هاملتون (شكل 53). منها غرفتان دافئتان (تيبيداريا) وهما «أ» و «ب» (الأشكال 54-55) وغرفتان ساختنان، وهما «ج» و «د»، فيهما تدفئة بخارية (كالداريا) مرتبطتين مع أتونين في الجهة الشرقية والشمالية (شكل 56). والغرف التي تخدم هاتين الغرفتين لهما مدخلان منفصلان، في الجانب الشمالي غرفة «هـ». والباب الثالث في الزاوية الشمالية الشرقية للقاعة يُفضي إلى ساحة على شكل زاوية تضم المراحيض العامة «و» (شكل 57).



شكل 53: مخطط الحمّام الساخن



شكل 54: غرفة المياه الساخنة



شكل 55: أنابيب الفخار في الغرفة الساخنة



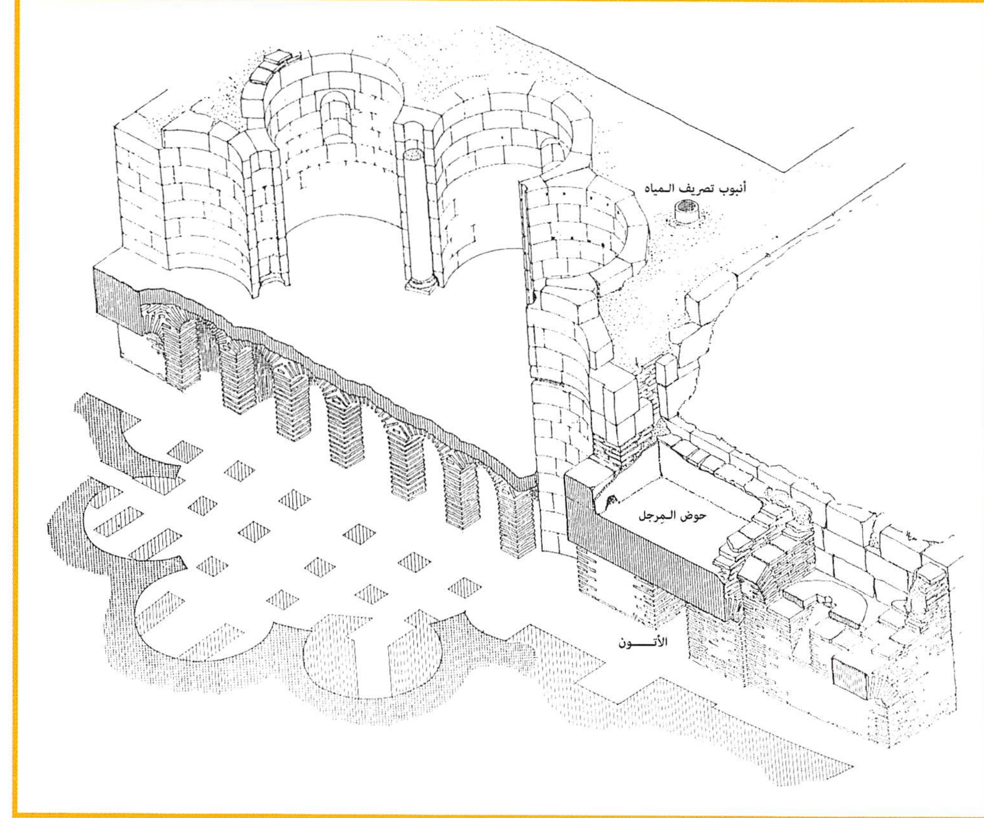
شكل 56: الغرف الساخنة وتُظهر الأتون والمِرجل



شكل 57: المراحيض العامة في الحمّام

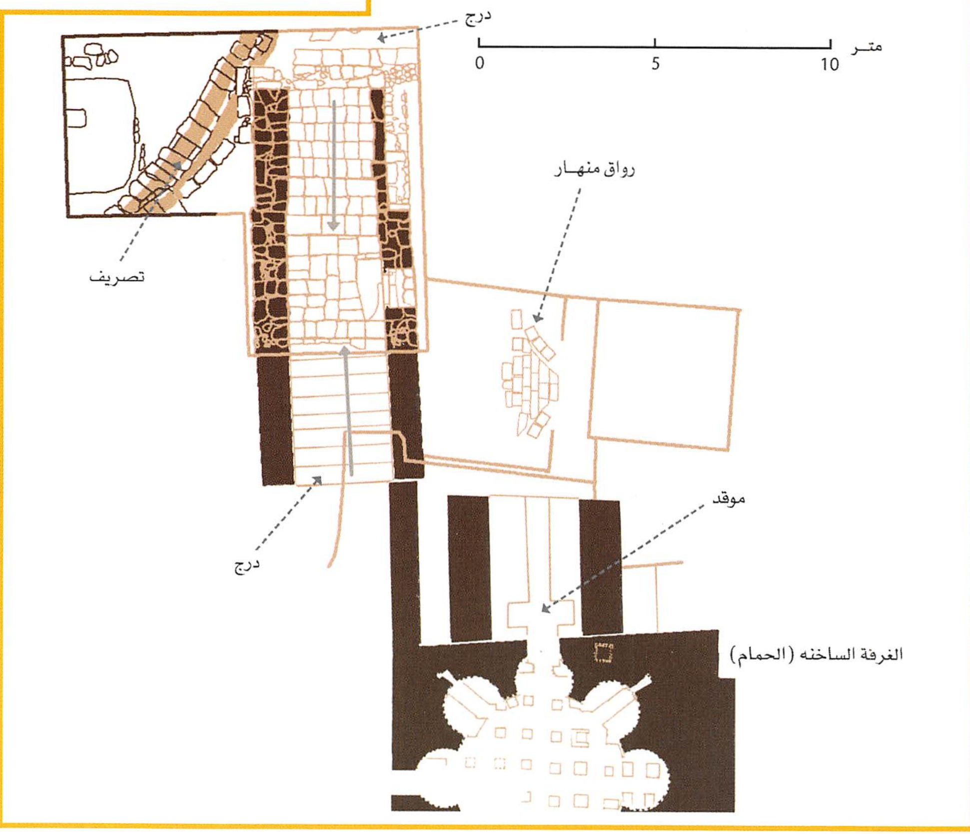
والحمّام الساخن مزود بأنبوبين لنقل المياه الساخنة والباردة، والتي تقوم بنقل المياه، وتُخلط المياه فيها حسب رغبة المستَحمّ. وقد تكدّست في أنبوب المياه الساخنة طبقة من التكلسات، ويَعتقد برامكي أن الغرفتين الدافئتين، واحدة مزوّدة بالمقاعد، وربما تكون مخصصة للرجال، والغرفة الأخرى مزودة بحنيات على شكل حذوة فرس، ربما تكون مخصصة للنساء. (Baramki 1953: 60). والحمّام ملتصق بغرفة الديوان المزينة على وجه خاص بالزخارف الجصّية والفسيفساء الملونة، والتي ربما تكون مخصصة للخليفة.

ويقع الموقدان خلف غرف الاستحمام الساخنة، إضافة للأنابيب الفخارية الموجودة داخل الجدران، والتي تقوم بنقل المياه الساخنة من مِرجل ضخم مشيّد فوق الموقد



شكل 58: مقطع في منطقة الغرف الساخنة

مباشرة (شكل 58)، وهي مغطاة من الداخل بطبقة من المِلاط. ولاحَظ برامكي (Baramki 1953: 60) بعض الإضافات المعمارية الأموية في تصميم منطقة القميم (هبوكوست)، والذي شُيّد بواسطة زوجين متوازيين من الأقواس مغطاة بألواح حجرية ومكسوة بطبقة من المونة الإسمنتية. والمنطقة الواقعة إلى الشمال والشرق من هاتين الغرفتين لم تُنقّب، ولكن المخطط يقترح بأن أية مبانٍ تعود للحمّام في هذا الاتجاه ستضم مرافق الخدمات المرتبطة بالتسخين والتنظيف أو تخزين الوقود (شكل 59)، وهو ما كشفت عنه التنقيبات التي جرت سنة 2006 و 2010-2014 (Taha 2011).



شكل 59: مخطط منطقة خدمات الحمّام

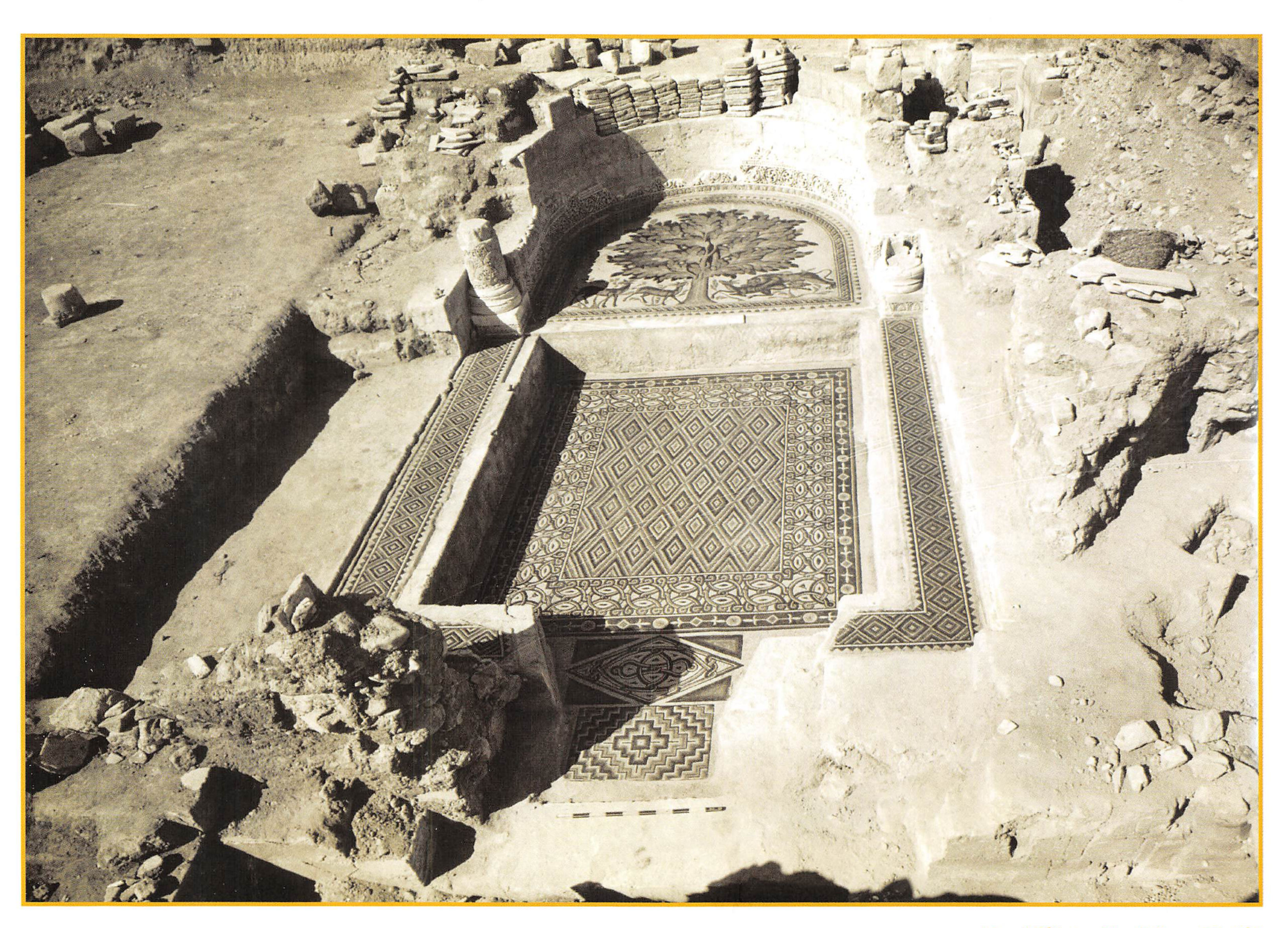
بركة السباحة

تقع بركة السباحة (شكل 60) على الطرف الجنوبي لقاعة الاستقبال الكبرى في الحمّام الكبير، وهي مستطيلة الشكل بطول 20 متراً وعمق 1.5 متر. ويفصلها درج عريض عن قاعة الاستقبال. وكانت البركة تتغذى بالمياه بواسطة أنابيب تقع فوق مستوى أعلى من البناء القائم حالياً. وتختلف في مخططها عن نظام البرك الروماني التي كانت تتوسط الحمّام.

شكل 60: صورة عامة لبركة السباحة

الديوان

تقع غرفة الديوان (شكل 61) في الركن الشمالي الغربي من قاعة الاستقبال في الحمّام الكبير (Hamilton 1959: 63-66)، وهي عبارة عن مقصورة صغيرة للاستقبال والضيافة للخليفة، وهي ذات منصة نصف دائرية في النهاية الشمالية للغرفة، وترتفع 50سم فوق مستوى الأرضية الرئيسية، وكانت مسقوفة بعقد نصف برميلي وقبة نصفية. والغرفة مزودة بمقاعد على جانبي الجدارين الرئيسيين الشرقي والغربي كما تخيلها هاملتون (Hamilton 1959: fig. 25, 26)، كما وزُينت جدران الغرفة وقبّتها بلوحات جصّية محفورة ومنقوشة، بعضها ما زال في مكانه. وأرضية غرفة الديوان الرئيسة مرصوفة بسجادة فسيفساء بأشكال هندسية مختلفة، أما منصة العرش المرتفعة، فمزينة بلوحة شجرة الحياة الشهيرة، وتشبه شجرة البرتقال أو النارنج، بأغصان خضراء متموّجة بثلاثة مستويات من تدرج الألوان، وعلى يمينها غزالان يرعيان بسلام، وعلى الجهة اليسرى أسد ينقضّ على غزال، وربما ترمز إلى ثنائية الخير والشر والحرب والسلام، وهي فكرة متجذرة في الفلسفة الشرقية والإنسانية. ويُعتقد بأن هذه الغرفة كانت تُستخدم كديوان للخليفة في أوقات فراغه.



شكل 61: صورة للديوان بعد الكشف عنه

المنطقة الشمالية

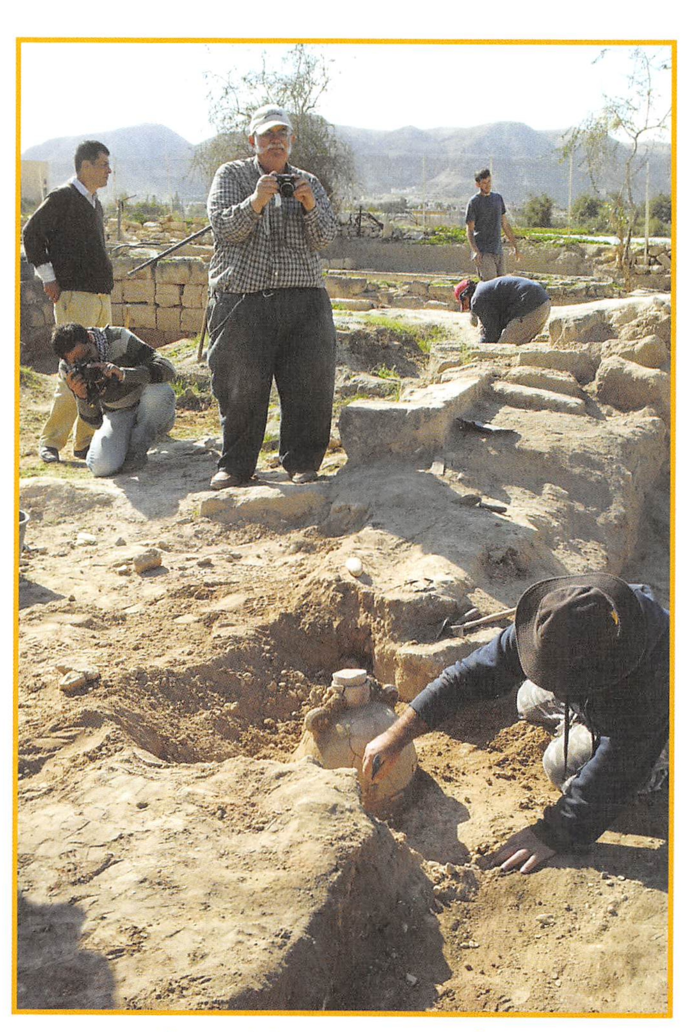
وهي المنطقة الواقعة إلى الشمال من الحمّام الكبير، والتي وصفها (بلس) في أواخر القرن التاسع عشر بالتلة الشمالية. وقد جرت فيها تنقيبات موسّعة في الستينيات من القرن الماضي، تحت إشراف د. عوني الدجاني مدير دائرة الآثار الأردنية، وقد نُشرت نتائجها بشكل إخباري في بضعة أسطر في حولية الآثار الأردنية سنة 1966، وفي سنة 1996 قامت دائرة الآثار الفلسطينية تحت إشراف الكاتب برفع هندسي للمنطقة على أساس الآثار الظاهرة في الموقع والتي تحولت إلى أكمة بالنباتات الطبيعية (شكل 62)، ولم تُنشر أية نتائج أخرى، وقد أفادت التحريات التي قمتُ بها بأن سجلات هذه الحفريات تعرضت للضياع. وفي السنوات 2011-2015 جرت أعمال تقييم وتنظيف وتنقيب في الموقع في إطار مشروع التنقيب المشترك ما بين دائرة الآثار الفلسطينية وجامعة شيكاغو تحت

شكل 62: المنطقة الشمالية قبل التنقيبات الفلسطينية الأمريكية المشتركة 2010

إشراف د. حمدان طه و د. دونالد ويتكومب (الأشكال 63-65)، وكشفت التنقيبات الجديدة عن بقايا ضيعة زراعية مسوّرة ملاصقة لمجمّع القصر من الفترة الأموية، وبقايا نظام مائي ومعصرة عنب كبيرة، وقد استمرت هذه المنطقة مأهولة في الفترة العباسية (750-950م) أيضاً، كما تدل على ذلك بيوت السكن والمسجد والنظام المائي والإسطبلات. وقد بيّن اكتشاف البوابة الشمالية أن المنطقة الشمالية منفصلة مكانياً عن مجمّع القصر والحمّام.



شكل 63: المنطقة الشمالية بعد التنقيبات الفلسطينية الأمريكية المشتركة 2010



شكل 64: صورة أثناء التنقيب في المنطقة الشمالية 2011



شكل 65: مخطط الضَيعة الشمالية بعد التنقيبات 2010-2014

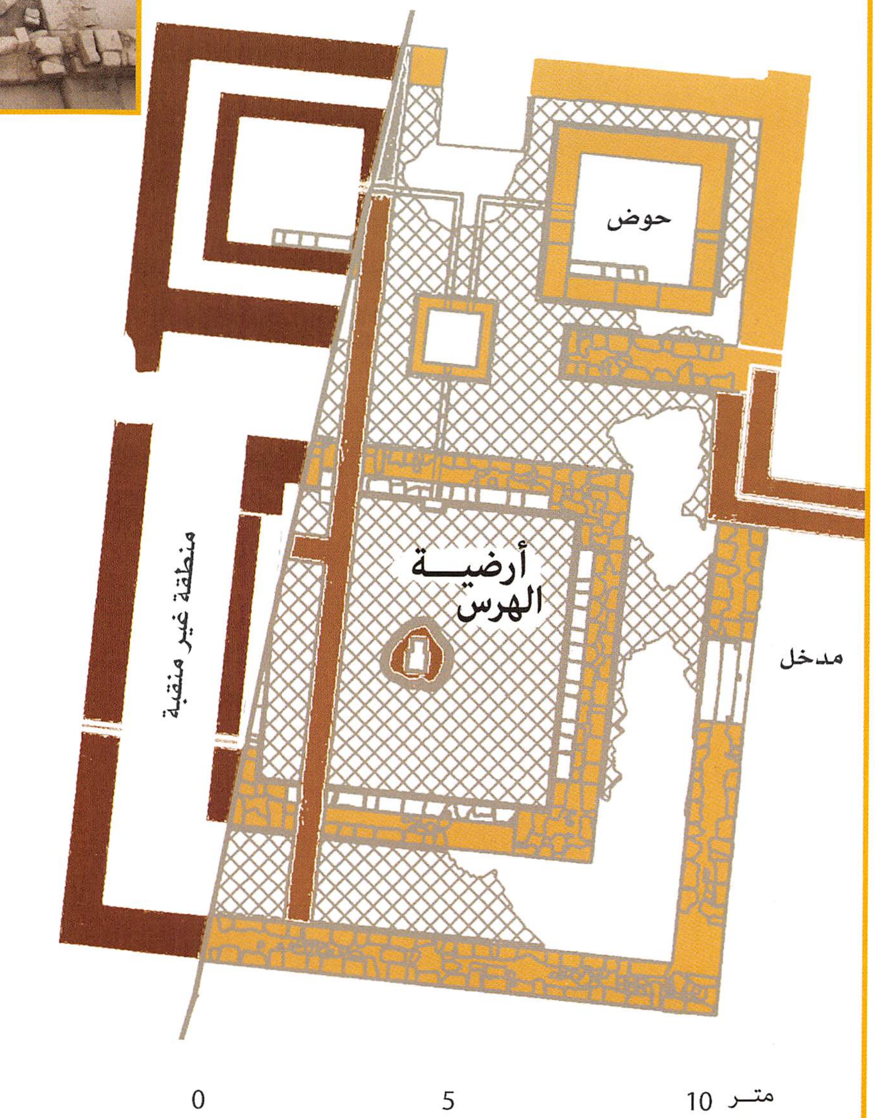
معصرة العنب الأموية

وُجدت المعصرة (الأشكال 66-67) في الزاوية الجنوبية الغربية من الضيعة (Taha and Whitcomb 2013)، يتكون مخطط المعصرة على غرار مَعاصر النبيذ البيزنطية من منطقة للهرس يتوسطها حجر بازلتي على شكل قلب، كان جزءاً من مَكبس العصر، وأحواض لتصفية العصير وتجميعه،



شكل 66: صورة معصرة العنب

والأحواض مكسوة بالمِلاط، ومتصلة بقنوات فخارية، وقد شُيدت جدرانها بالحجر المشذَّب الذي يشبه حجارة القصر، ورُصفت أرضياتها بالفسيفساء البيضاء الكبيرة. وتلتف حول قاعة الهرْس مقاعد للاستراحة، وكشفت التنقيبات عن الجزء الأعظم من المعصرة. وتعتبر هذه المعصرة واحدةً من أكبر معاصر العنب المكتشَفة في فلسطين. ولا شك أن الطاقة الإنتاجية لهذه المعصرة تتناسب مع حجم النشاط الاقتصادي المرتبط بزراعة الكرمة في منطقة أريحا. استُخدم عصير العنب لصنع الدبس والخل أو النبيذ. وتدل الحجارة وقنطرة القرميد المتساقطة في حوض التجميع أن معصرة العنب انهارت بسبب الزلزال الذي ضرب الموقع سنة 749م.

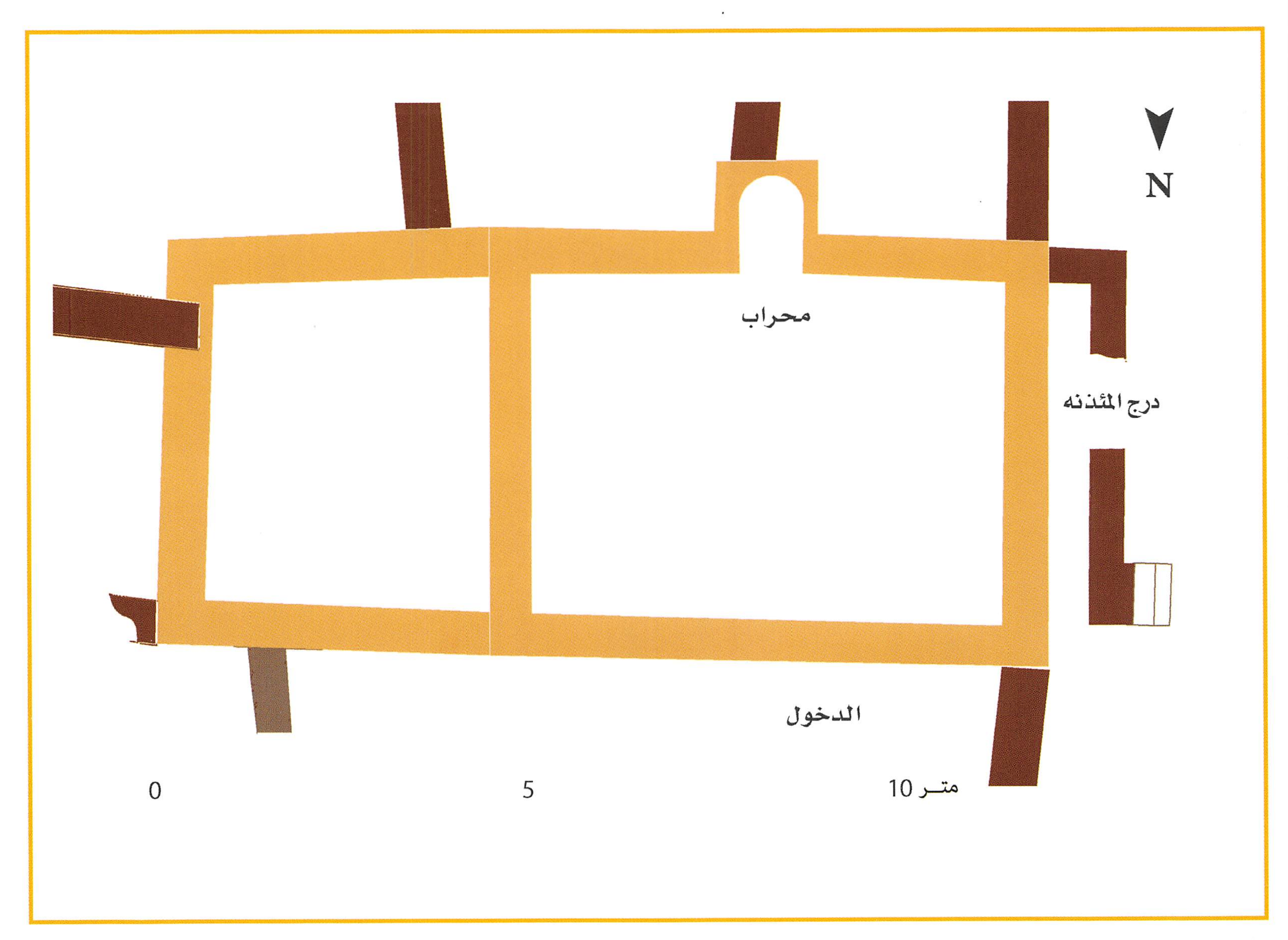




شكل 67: مخطط معصر العنب

المسجد

يقع المسجد (شكل 68) في وسط الضيعة الشمالية (Taha and Whitcomb 2013)، ويعود بتاريخه إلى الفترة العباسية (950-980م)، كما يدل الفخار الذي وُجد على أرضيته، وقد شُيد فوق أنقاض الفترة الأموية، ويمثل المرحلة الأخيرة في استيطان القصر والضيعة. والمسجد عبارة عن بناء بسيط مربع من الحجر، بُلطت أرضيته بقطع القرميد مربعة الشكل. ويشير المحراب العميق إلى اتجاه القِبلة، وتوجد غرفة على يمين المسجد، ربما استُخدمت كمصلى للنساء أو لإقامة إمام المسجد. ويُعتقد أن المصطبة الضيقة في الجهة الشمالية كان مبنياً عليها درج يؤدي إلى سقف المسجد لرفع الأذان، وعلى الأغلب كان له متوضأ بالقرب من باب المسجد.



شكل 68: مخطط المسجد العباسي

البيت العباسي

يقع البيت (الأشكال 69-70) في الزاوية الجنوبية الشرقية من الضيعة(Taha and Whitcomb 2013)، وهو مُشيّد بالحجارة المستعملة من القصر الأموي، بما في ذلك أعمدة وحجارة مزخرفة، بما يؤكد أن البيت يعود إلى الفترة العباسية. والبيت



شكل 69: صورة عامة للبيت العباسي

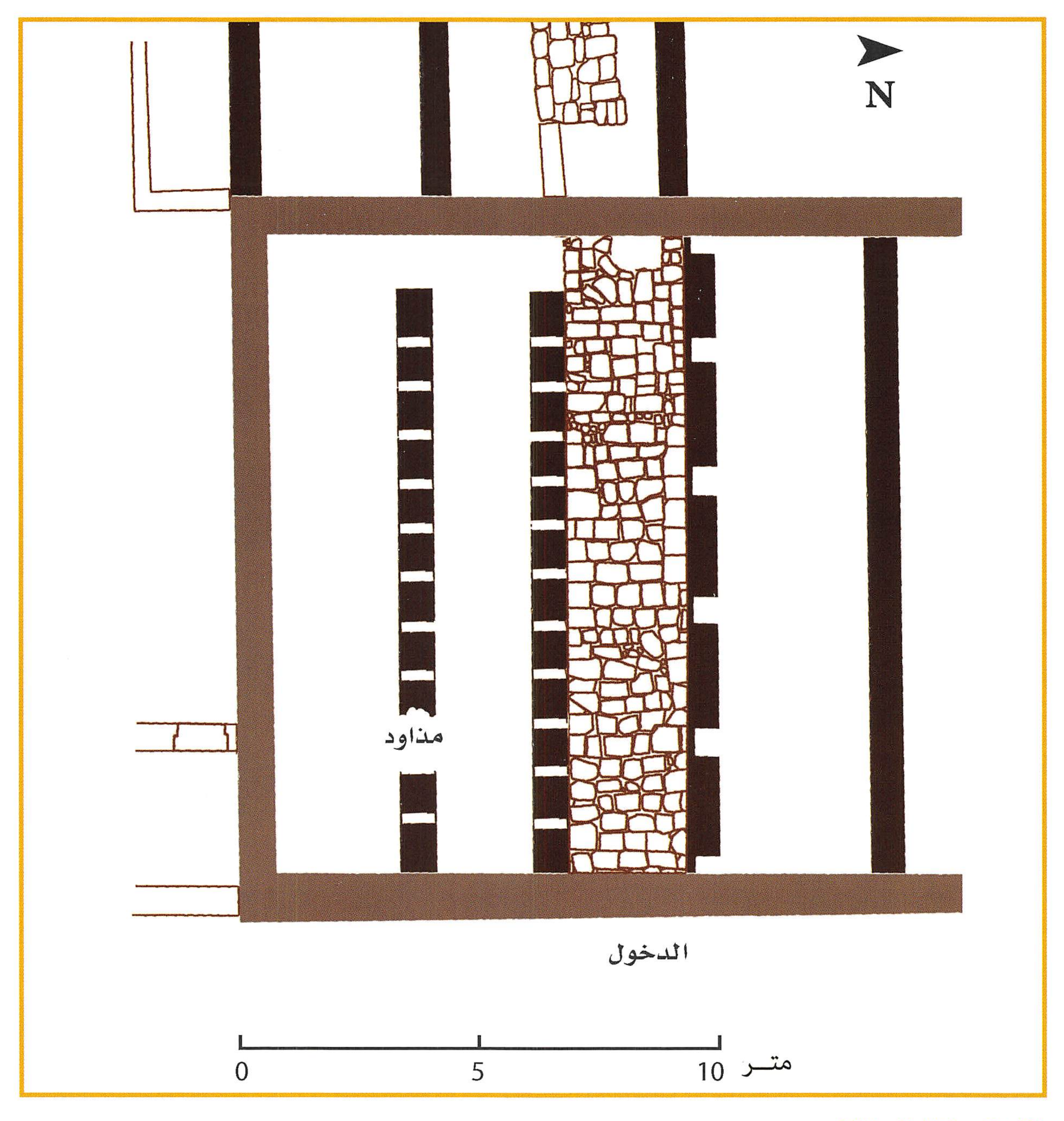
مكون من عدة غرف، يقع مدخل البيت في الجهة الشرقية، ويدلف إلى الفناء الذي يحتوي على طابون، وتحيط به غرف نوم «هـ» و «و». أما الغرفة «ب» فقد كانت تُستخدم كقاعة استقبال، وهي تقع بجوار غرفة خاصة «ز»، واستُخدمت الغرف («ح» و «ي») للطبخ والتخزين، وكانت الغرفة «د» مرحاضاً داخلياً بُنيت بحجارة منقولة من نافورة القصر. يُعتقد أن هذا البيت كان مُلكاً لحاكم الضيعة خلال الفترة العبّاسية. وتوجد بيوت مشابهة له تعود إلى عهد الخليفة هارون الرشيد (786-809م) في الرّقة في سورية.



شكل 70: مخطط البيت العباسي

الإسطبلات

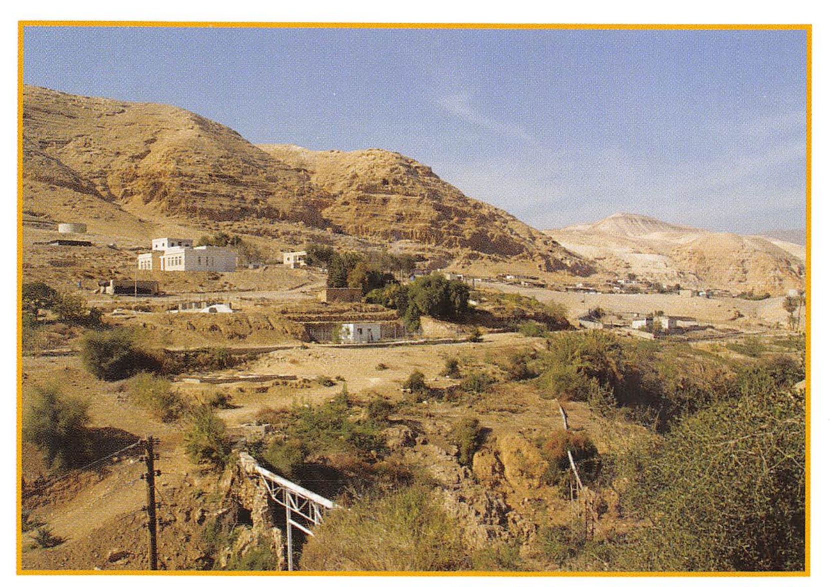
تقع الإسطبلات (شكل 71) في الجهة الشرقية من الضيعة (Taha and Whitcomb 2013)، والتي استُخدمت لتربية وإيواء الخيول في الفترتين الأموية والعباسية، وبالتحديد في القرن التاسع الميلادي. فكانت تُقاد الخيول منه إلى الحيْر الذي يحيط بمساحة كبيرة من الأراضي الزراعية في شرق قصر هشام وتمتد على مسافة أكثر من كيلومترين، وكانت هذه المنطقة تُستخدم للرعي وتناسل الخيول والتدريب، ومن الممكن أنها كانت أيضاً تستخدم لسباق الخيول. ويتكون الإسطبل من صفّين من المعالف، مزودة بالمذاود لوضع علف الخيول، وأرضيته مرصوفة بالبلاط الحجري المنقول من القصر.



شكل 71: مخطط الإسطبلات

النظام المائي

المصدر الرئيس للمياه المزودة للقصر كان يتم بواسطة قناة مكشوفة من النبعين القريبين وهما عين ديوك وعين النويعمة (شكل 72)، الواقعين شمال غربي جبل قرنطل على بعد ثمانية كيلومترات نحو الغرب (Hamilton 1993: 922). وهي القناة التي تم وصفها في مسح غرب فلسطين (خارطة رقم 18). وقد وضع د. برامكي سنة 1943 تصوراً للنظام المائي. وتقطع هذه القناة المكشوفة وادي النويعمة في نقطتين، وتمر فوق جسرين مقنطرين شُيّدا في الفترة الأموية، الجسر العلوي والذي هُدم في بداية القرن الماضي (شكل 73) والجسر السفلي



شكل 72: صورة لنبع النويعمة والجسر المهدم

شكل 73: جسر الديوك قبل انهياره



شكل 74: جسر النويعمة المهدم





شكل 75: جزء من قنطرة الجسر القائمة

المهدّم قديماً (الأشكال 74-75). وتصب المياه في خزان كبير يُعرف ببركة الطاحونة غرب الموقع (شكل 76)، وتمتد القناة شرقاً لتصب في بركة المفجر، على بعد 700 متر شمال غرب القصر، وهي خزان مائي كبير بسعة 8000 متر مكعب تقريباً، ومن البركة وحتى القصر هناك ارتفاع 80 قدماً استُخدم لتدوير ثلاث طواحين مائية أو أكثر، وعلى بعد 30 متراً من الجدار الغربي للحمّام تنحرف القناة بزاوية قائمة نحو الشمال لتغذّي في البداية خزاناً مائياً مكشوفاً يقع بالقرب من الجدار الغربي للحمام، ومن ثَم يجري توزيعها عبر شبكة من القنوات الداخلية إلى القصر والحمّام. ويوجد في القصر أربع قنوات مائية داخلية، الأولى تمر عبر البساتين

شكل 76: تنقيبات بركة الطاحونة تحت إشراف د. محمود هواري 2014

لتغذي النافورة، والثانية تمر داخل القصر (شكل 77)، والثالثة داخل قاعة الإستقبال، بينما تزوّد القناة الرابعة الحمّام الشمالي بالمياه. وتتجه المياه الفائضة من القصر والحمّام إلى الحقول في الجهة الشرقية للقصر (شكل 78). وتشير نقاط التصريف في قاعة الاستقبال الكبرى في الحمّام وساحة القصر والسرداب إلى نظام توزيع وتصريف للمياه داخل مجمّع القصر، وكانت تجري المياه الفائضة ومياه الحمّام عبر قنوات كبيرة تمتد تحت مستوى المراحيض باتجاه الشرق.



شكل 77: قناة شرق بوابة القصر



شكل 78: قناة المياه داخل القصر

مواد البناء

إن المواد المستخدمة في بناء القصر هي الحجارة والآجر بكافة أشكاله وأحجامه، كذلك الخشب، كما تدل على ذلك الأخشاب والمعادن المكتشفة في منطقة البوابة الشمالية، إلى جانب المِلاط والجص والفسيفساء. ويشكل الحجر المادة الرئيسية في البناء، حيث شُيّدت الأسوار والأبراج الخارجية والبوابات وجدران القصر والأقواس وبعض العقود والدُّعامات الحجرية والأعمدة والقواعد والتيجان والأدراج وبلاط الساحات والقنوات والبرك. وقد استُخدم الحجر في العقد البرميلي للحمام الصغير (السرداب).

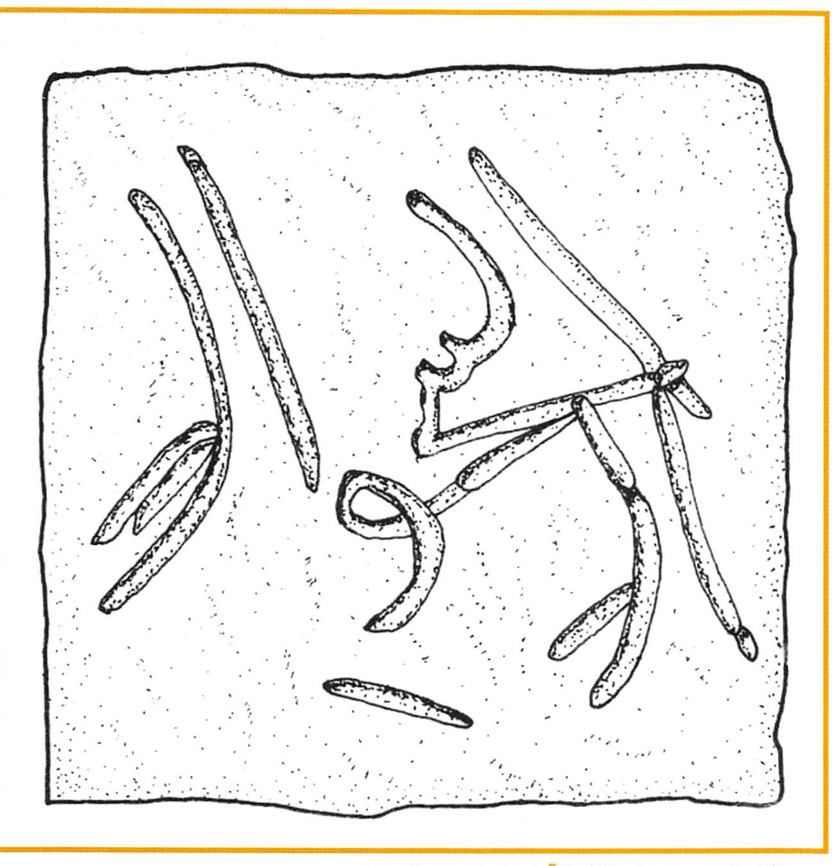
وهناك ثلاثة أنواع من الحجارة المستخدَمة في بناء القصر، وهي الحجر الرملي المستخرَج من مقالع خربة السمرا على بعد 3 كم إلى الشمال من خربة المفجر، وحجر النبي موسى المستخرَج من مقالع في التلال القريبة من مقام النبي موسى على بعد سبعة كيلومترات إلى الجنوب من خربة المفجر، واستُخدم في تبليط الساحات العامة في القصر والممر الرابط ما بين القصر والحمّام، وهناك حجر المرمر المستخدَم في بعض الأماكن في القصر، ويتكون من ألواح حجرية وبعض الأعمدة المرمرية الصغيرة المستوردة من إيطاليا، والدرابزينات الحجرية. وبعض هذه الحجارة منقولة من مواقع مهجورة، بما في ذلك كنائس وأديرة بيزنطية دارسة، يحمل بعضُها صلباناً (شكل 79)، لم يعتنِ أحد بإزالتها، ويَعتقد برامكي بأن معظم الأعمدة منقولة من إحدى الكنائس التي قام بالتنقيب عنها في تل الحسن بالقرب من مركز مدينة أريحا الحالي (Baramki QDAP V. 62, Baramki 1953: 20). ويبدو أن الأمويين استخدموا كل ما وقع تحت أيديهم من مواد بناء. أما تيجان الأعمدة في القصر فهي من الحجر الرملي المحلي المستخرَج من مقالع خربة السمرا، وتحمل زخارفها الأسلوب الكورنثي البيزنطي ويشيع فيها استخدام تصميم ورقة الأكانتوس (Baramki 1953: 21-22, Hamilton QDAP XI:47-65).



شكل 79: عمود يحمل نقش الصليب داخل إحدى غرف القصر

كما استُخدم الآجر، والذي يحمل رمز الصانع أحياناً (الأشكال 80-81)، على نطاق واسع في بناء بعض الجدران الداخلية والأقواس والعقود والقباب، وقد كُسي بطبقة من المِلاط. ويبدو أن عقود المداخل والأقواس والقباب في منطقة الحمّام كانت مشيّدة بالآجر، والآجر المستخدَم مربع الشكل تقريباً، وقياساته 15x24سم، وفي العقود استُخدم الآجر بقياسات مختلفة. واستُخدم الجص في تزيين الجدران والسقوف الداخلية، وإغلاق شبابيك المباني (Baramki 1953: 17).

أما المواد المستخدَمة في رصف أرضيات القصر فتتراوح ما بين الفسيفساء في غرف القصر والحمّام والمرافق العامة، وكانت غرف القصر مرصوفةً بالفسيفساء الملونة كما يدل على ذلك قِطع ومكعبات الفسيفساء المتساقطة من غرف الطابق العلوي للقصر، كما أن الحمّام الصغير (السرداب) وقاعة الاستقبال الكبرى في الحمّام والديوان كانت مرصوفةً بالفسيفساء الملونة (Baramki 1953: 36). واستُخدم البلاط الحجري في رصف الساحات العامة، والأرضية الإسمنتية، وهي عبارة عن خليط من الشيد والرماد والرمل والفخار المطحون. أما المونة المستخدَمة في البناء فهي خليط من الشيد والرماد والرمل (Baramki 1953: 16)، وأحيانا يضاف اليها الفخار المطحون في قصارة الجدران.

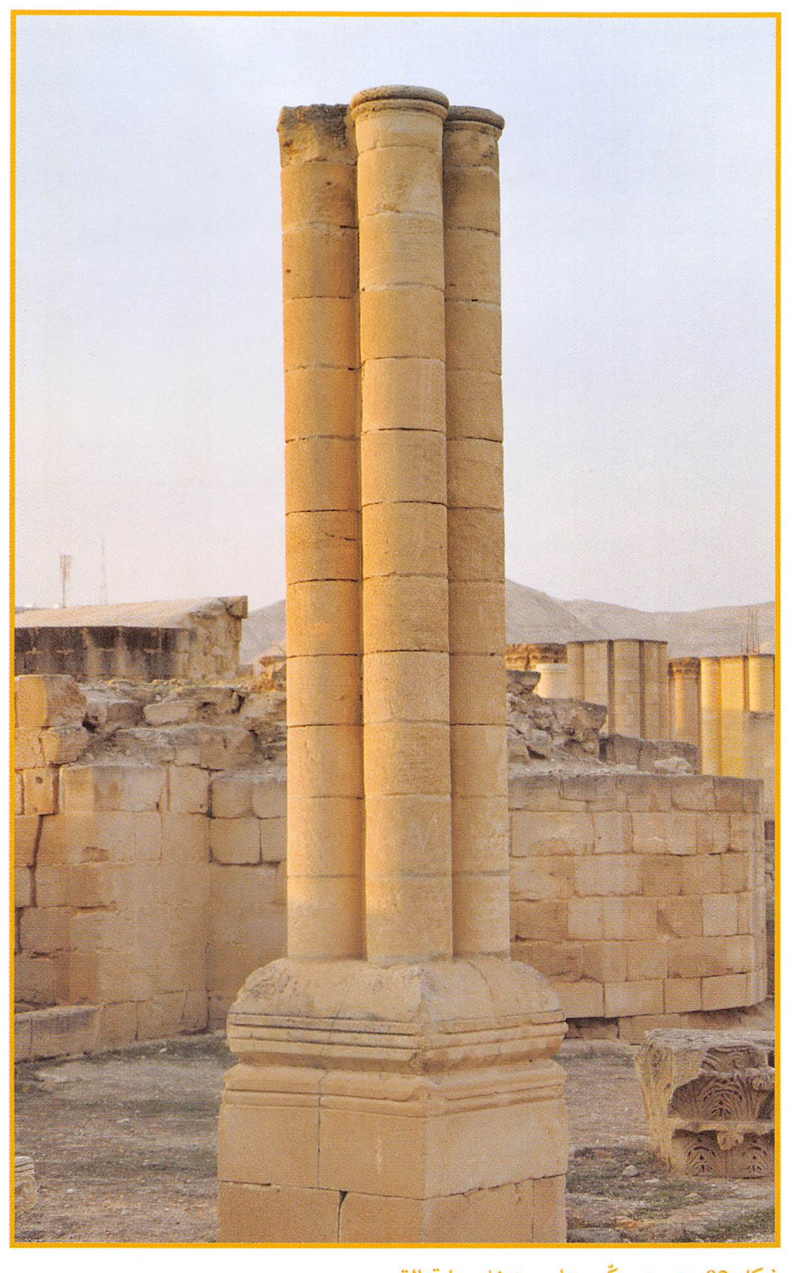

شكل 80: رسم على قطعة آجر تحمل رمز الصانع


شكل 81: صورة لقطعة آجر تحمل رمز الصانع

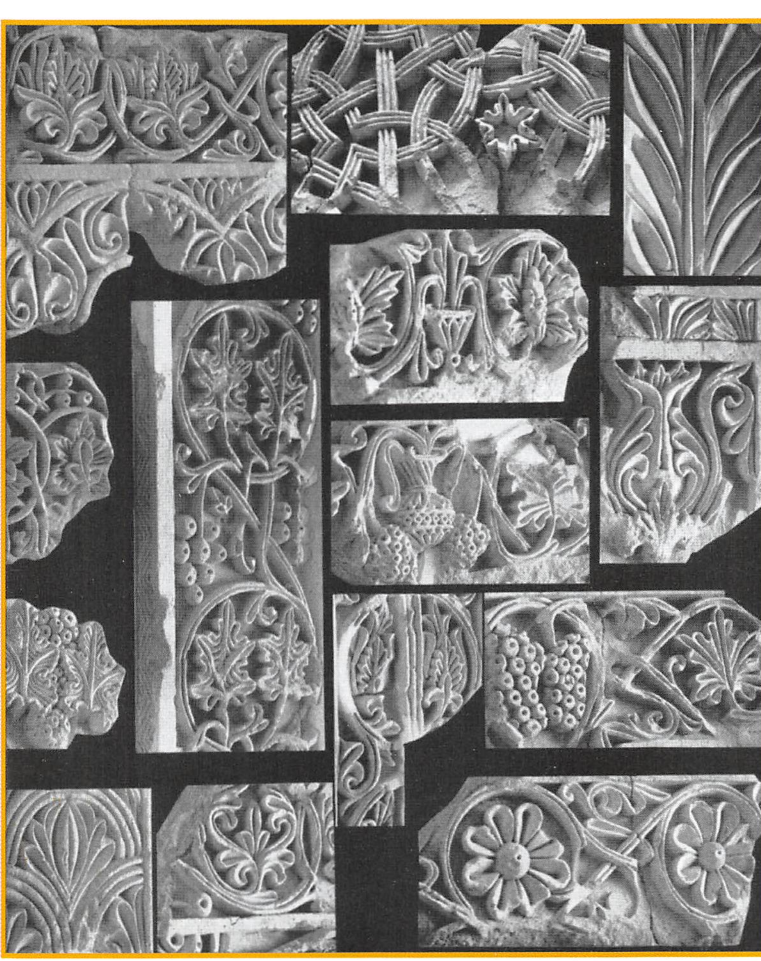


الفصل الرابع: فنون القصر

تأثرت عمارةُ القصر وزخرفتُه بالتقاليد البيزنطية السورية والساسانية. ويتضح هذا من تنوع الأساليب الفنية في القصر، فالبوابة الرئيسية للقصر والحمّام استُوحيت من واجهات الإيوان الفارسي والعراقي (Hamilton 1993: 924, Taragan 1997). ويتجلى هذا أيضاً في الأعمدة المركّبة (شكل 82) والنماذج الزّخرفية الجصّية المنحوتة، التي استُخدمت لأول مرة في فلسطين كزخارفَ سطحية ومادة لبناء الدرابزين والشبابيك والواجهات (شكل 83). وفي الرسومات الجدارية والزخارف الجصّية شاع استعمال الأشكال الإنسانية والحيوانية والنباتية والهندسية (Baer 1974: 237-240, Rosen-Ayalon 1984). والنموذج الزخرفي



شكل 82: عمود مركّب على مدخل بوابة القصر



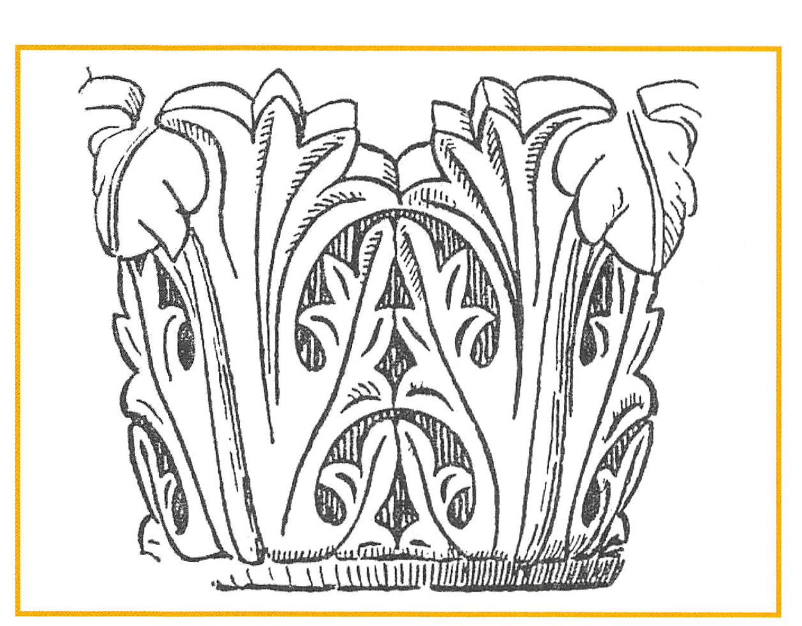
شكل 83: نماذج جصّية

الشائع على تيجان الأعمدة هو ورقة الاكانتوس (الأشكال 84-85)، المستوحاة من التقاليد الكلاسيكية، بالإضافة إلى الأشكال النباتية، مثل أوراق سعف النخيل وقطوف العنب والورود وأشكال نباتية أُخرى. ومن العناصر الزّخرفية المميزة في القصر استخدام المحاريب والحنيات كما هو الحال في الحمّام (Baramki 1953: 26-27)، واستُخدمت الشُرف الحجرية المسنّنة كعنصر معماري في أعالي الجدران الخارجية (شكل 86). ويبدو أن الدرابزينات الحجرية والجصّية في القصر (الأشكال 87-88) كانت استمراراً لتقليد حاجز الهيكل الشائع في الكنائس البيزنطية (Baramki 1953: 28). كما وعثر على قبة حجرية (شكل 89) تقوم على أعمدة صغيرة فوق أرضية الديوان، تبدو على شكل مَبْخرة كبيرة، سبق ونُشرت صورتُها (Hamilton 1959: Pl. XII: 3)، وقد تم التعرف على أجزائها مبعثرة في إحدى غرف القصر، ثم أُعيد ترميمُها من قبل خبراء دائرة الآثار وجامعة شيكاغو سنة 2014، وهي معروضة في متحف قصر هشام في أريحا (Taha and Whitcomb 2014: 22, fig. 20).

يتميز الموقع بغنى أساليبه المعمارية والفنية، ويمثّل القصر نموذجاً فريداً يجمع ما بين أساليب معمارية وفنية محلية فلسطينية وسورية وعراقية وساسانية مختلفة، إلى جانب الزخارف المكوِّنة للعناصر المعمارية مثل التيجان والأفاريز والفتحات. ويُعزى هذا التنوع الفني



شكل 84: تاج عمود بزخارف ورقة الأكانتوس

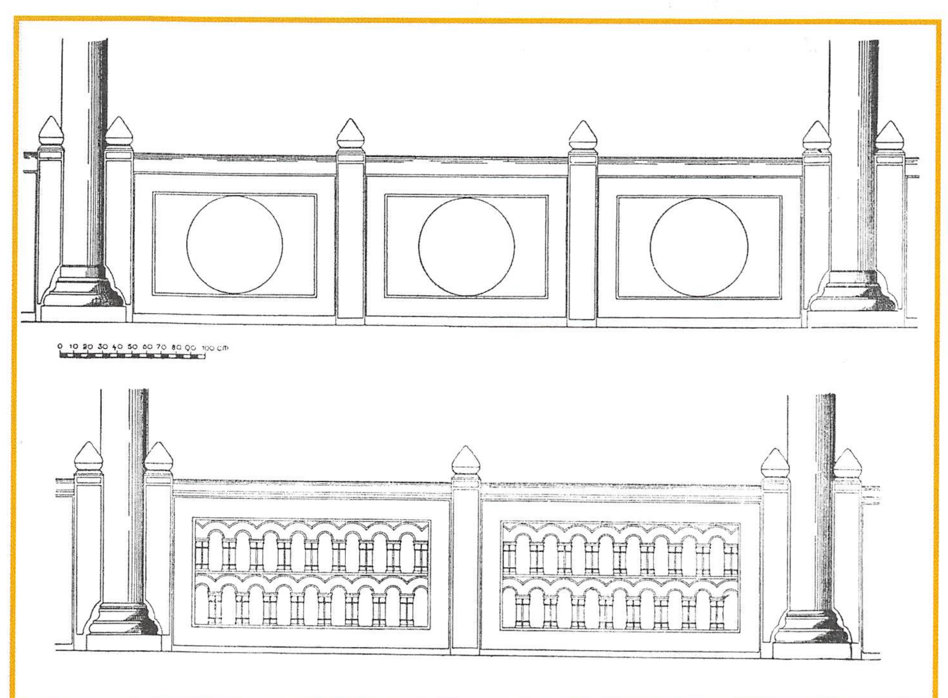


شكل 85: رسم ورقة الأكانتوس على تيجان الأعمدة

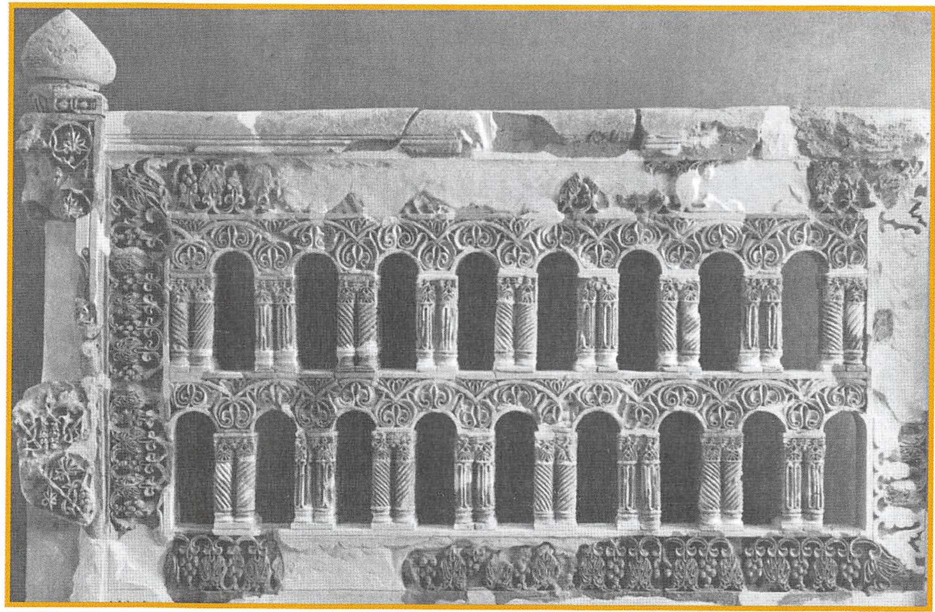


شكل 86: شُرفة حجرية مسننة

ربما إلى قدرة خلفاء بني أُمية على تجنيد الحرفيين والعمال من كافة أرجاء الخلافة. وقد عُرف هذا المثال في الفترة الأموية أثناء بناء قبة الصخرة التي استُقدم لها بناؤون وحرفيون من الخارج. هذا رغم أن معظم البنائين والحرفيين في القصر توحي أسماؤهم بأنها أسماء فلسطينية محلية، والذين يحملون تقاليد البناء والفنون البيزنطية العريقة.



شكل 87: رسم درابزينات حجرية وجصّية



شكل 88: صورة لدرابزين الشرفة العليا في الحوض المزخرف

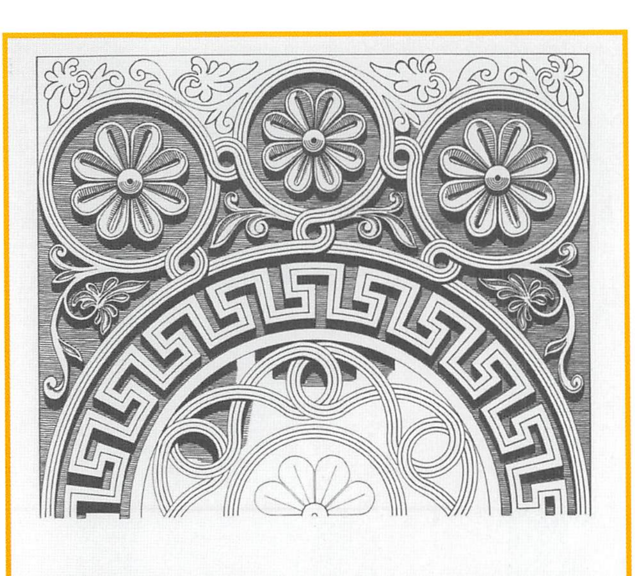


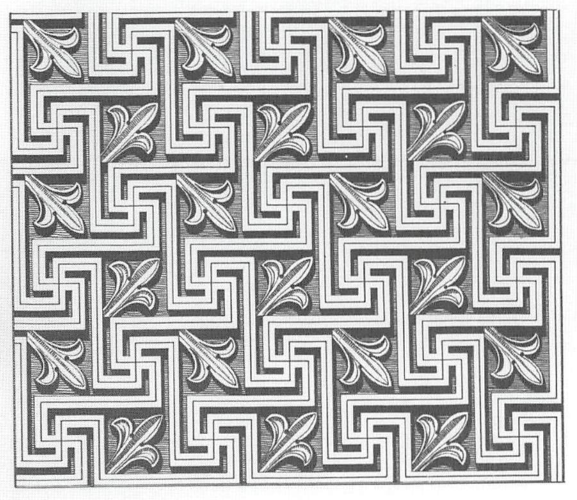
شكل 89: مبخرة حجرية

المنحوتات والزخارف الجصّية والحجرية

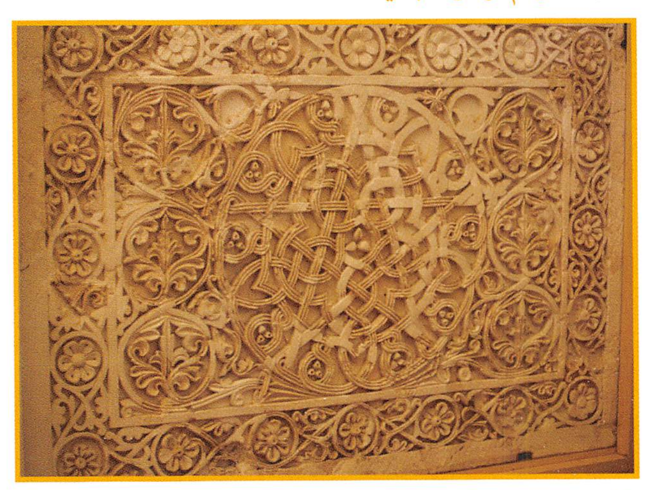
امتاز قصر هشام بغنى زخارفه الجصّية، واستُخدم الجص في تزيين الجدران الداخلية للغرف وحواف الأقواس والعقود والقباب والدرابزينات في الأروقة المعقودة وأجنحة النوم في الطابق العلوي. وقد قام هاملتون بدراسة وافية لهذه العناصر الزخرفية ونشرها في العددين 13 و 14 من فصلية الآثار الفلسطينية (Baramki 1953: 43)، واستنتج بأنها ذات أصول ساسانية، في حين يعتقد برامكي بأن هذا الفن مزيجٌ من الفن السوري والعراقي، وأن حرفيين مهرةً في هذا الفن قد استُقدموا من سوريا والعراق لإنجاز أعمال الجص في في القصر (Baramki 1953: 44).

استُخدمت المنحوتات الجصّية بأشكال حيوانية ونباتية بشكل واسع في جميع أرجاء القصر لتزيين واجهات الجدران والشبابيك والأعمدة والتيجان والسقوف (Hamilton 1945: 1-19; 1950: 100-119). ووُجدت أجمل الزخارف الجدارية ذات الأشكال الهندسية والنباتية في أروقة الديوان ومنطقة الحمّام (الأشكال 90-92). كما عُثر أيضاً على تماثيل جصّية منحوتة في ممرات مدخل القصر (شكل 93) والممر الشرقي





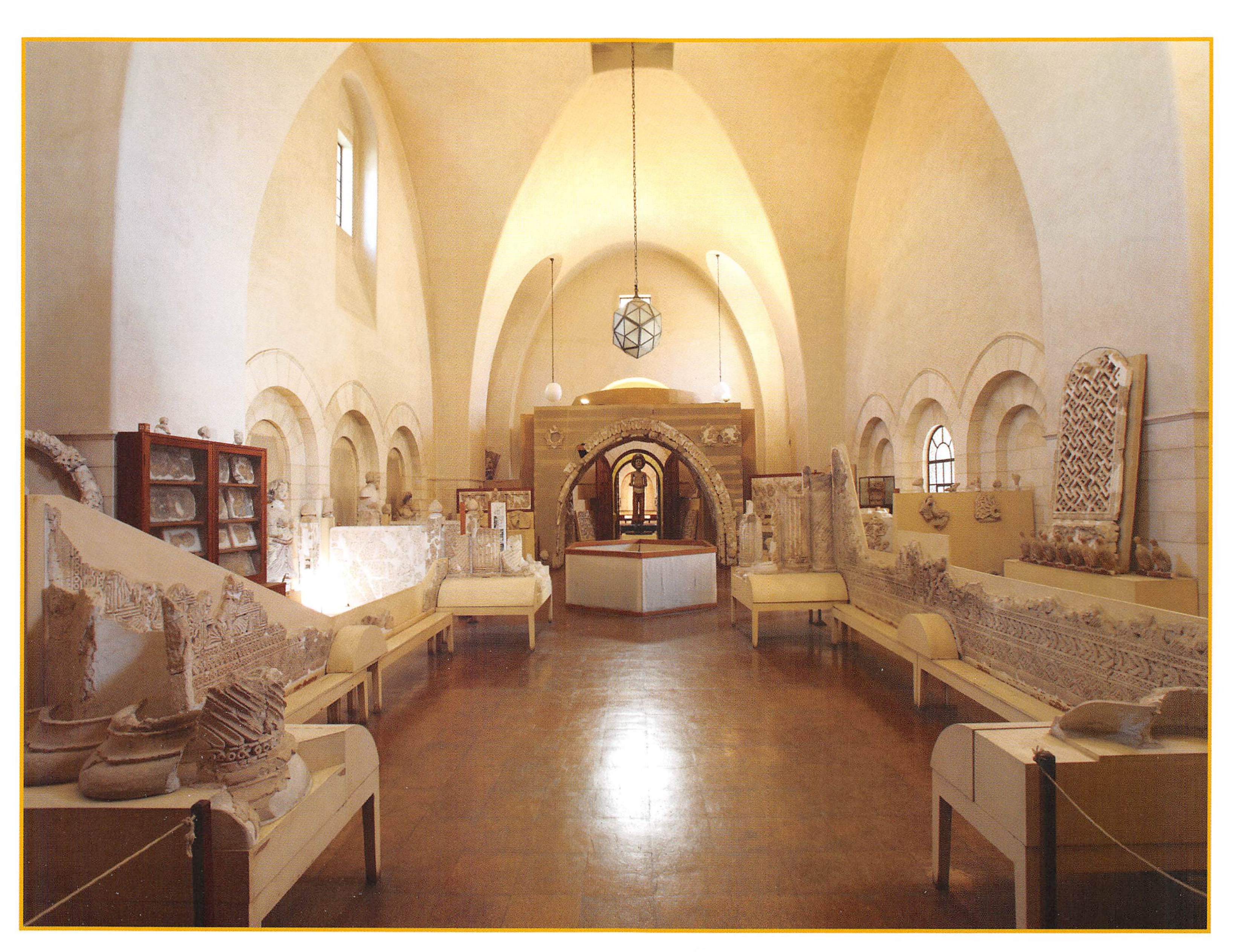
شكل 90: رسم لزخارف جصّية



شكل 91: لوحة جصّية



شكل 92: أعمدة اللّوحات الجصّية



شكل 93: إعادة تركيب الزخارف الجصّية لمدخل القصر الشرقي في متحف الآثار الفلسطيني

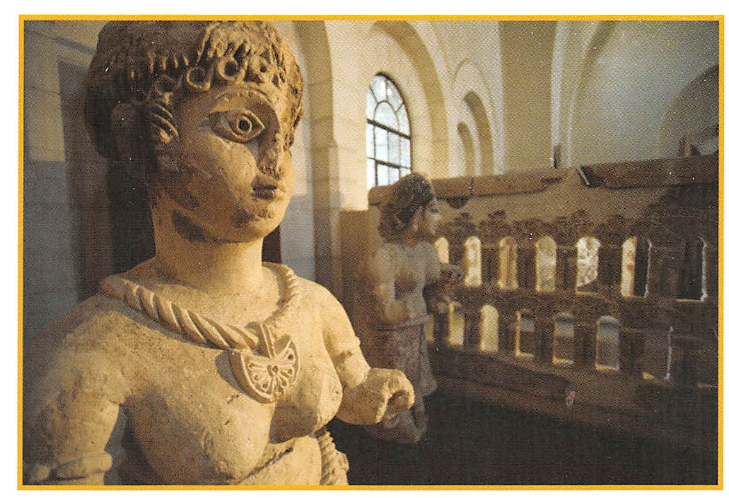


شكل 94: زخارف جصّية لسقف الديوان



شكل 95: نافذة جصّية

المسقوف للحمّام، وغرفة الديوان (شكل 94)، بما في ذلك نوافذ جصّية (شكل 95) كاملة، وبعض هذه التماثيل تُجسد رجالاً ونساءً بحجم الإنسان الطبيعي، وتماثيل لفرسان وتماثيل نصفية (الأشكال 96-100)، وتماثيل جصّية أخرى لحيوانات رابضة أسفل محاريب التماثيل (Hamilton 1950: 100-119, 1993: 926, 928). ويعتقد بعضُ الباحثين أن التماثيل الجصّية الآدمية التي وُظفت كعناصر إنشائية حاملة في ممر الحمّام الكبير (Hamilton 1959: 95) بأنها مستوحاةٌ من الميثولوجيا الإغريقية (Targan 2003: 9)، وهو أمر ليس مستبعداً، فهذه الميثولوجيا كانت جزءاً من ثقافة المنطقة لبضعة قرون سبقت الفتح الإسلامي. وأحد هذه التماثيل يقف متفرّداً بكامل ملابسه، منتضياً سيفَه، ويتميز بشعره الذهبي الكثّ وعيونه السوداء، وتُدعى هذه الوضعية بـ «الخليفة الواقف»، حيث حملت عملات نقدية تعود لفترة الخليفة عبد الملك بن مروان


شكل 96: تمثال جصّي لامرأة


شكل 97: تمثال جصّي لفارس يحمل سيفا وترساً


شكل 98: تمثال جصّي لرأس امرأة



شكل 100: تمثال لرأس رجل

شكل 99: تمثال لفارس على رأسه خوذة


شكل 101: دينار ذهبي يحمل رسم الخليفة الواقف


شكل 102: تمثال جصّي لفرس مجنّح

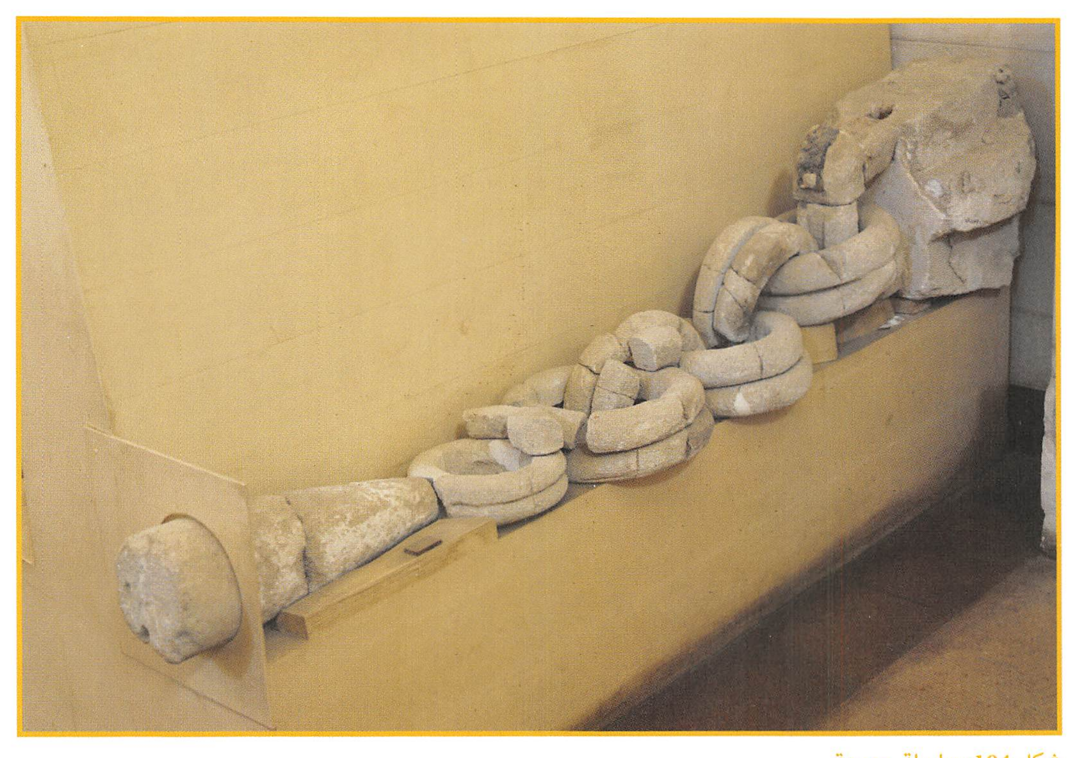

شكل 103: تمثال جصّي لغزال

(شكل 101)، والد الخليفة هشام، رسومات للخليفة الواقف، والتي عُثر عليها في قُصير عمرة (Baramki 1953: 47). وربما يُمثل هذا التمثال الخليفة الأموي هشام أو خلَفه الوليد، وهو يشبه إلى حدّ بعيد التمثال الموجود في قصر الحير الغربي بالقرب من دمشق والذي بناه الخليفة هشام. وهذا التمثال معروض في متحف الآثار الفلسطيني في القدس، كما جرى إعادة بناء وترميم محراب أُخذ من إحدى واجهات القصر، وهو معروض حالياً في متحف قصر هشام.

كما تم تمثيل الأشكال الحيوانية على نطاق واسع في قصر هشام كالفرس المجنّح والغزال (الأشكال 102-103) سواءً في الزخارف الجصّية أو الرسومات الجدارية وعلى فسيفساء شجرة الحياة كالغزلان والأسود. ولا شك أن تمثيل الأشكال الإنسانية على وجه الخصوص لأمر بالغ الدلالة (Baramki 1953: 45-47)، وهو يقيم الدليل على أن المسلمين الأوائل، لم يتحفظوا على تمثيل الكائنات الحية في المباني المدنية والعامة، وأن أشكال التحريم ربما تنطبق على مباني العبادة فقط، بما يثير النقاش مجدداً حول طبيعة العلاقة ما بين الفن والدين.

وعُثر على مجموعة من التماثيل الفخارية الحيوانية، وميّز برامكي ما بين نوعين من هذه التماثيل، الأول صنع من الفخار الصلب والآخر من الفخار الأحمر الأملس. وقد لوّنت العيون بخطوط سوداء رفيعة.

ومن الزخارف المميزة في قصر هشام السلسلة الحجرية (شكل 104) التي كانت تتدلى من أحد القباب الفرعية في الحنية المركزية في قاعة الاستقبال. وتتكون من سبع حلقات حُفرت جميعها من حجر واحد (Hamilton 1988: 31, fig. 11)، وتنتهي على شكل القلنسوة، وقد فسّرها اتينغهاوزن (Ettinghausen 1972: 30-33) بأنها تُمثل القلنسوة التي كان يعتمرها خلفاء بني أمية، وصدى لأسطورة السلسلة الذهبية التي كانت تتدلى فوق عرش خسرو أنوشروان. كما ربطها بعض الباحثين برمز السكين والفاكهة (شكل 105) التي صُوّرت بالفسيفساء على مدخل الحنية المركزية في قاعة الاستقبال في الحمّام، والتي يُعتقد بأنها المكان الذي كان يجلس فيه الخليفة، وهي الرسم التصويري الوحيد في قاعة الاستقبال (Hamilton 1988: 18, fig. 4)، باستثناء شجرة الحياة في الديوان. وقد فسر هاملتون هذا الشكل المكوّن من سكين وفاكهة في الوسط، كذكر وأنثى، وأنه يرمز إلى الولادة، ويعني اسم الخليفة الوليد. وبيّن د. غازي بيشة بأن هذا الرمز شائع في الفترة البيزنطية (Bisheh 2000: 59-64)، وقد وُجد على أرضيات الكنائس في خربة السمرا وكنيسة الأسود في أم الرصاص وكنيسة حوفا بالقرب من إربد.



شكل 104: سلسلة حجرية



شكل 105: رسم فسيفسائي للسّكين والفاكهة

الرسومات الجدارية (الفريسكو)

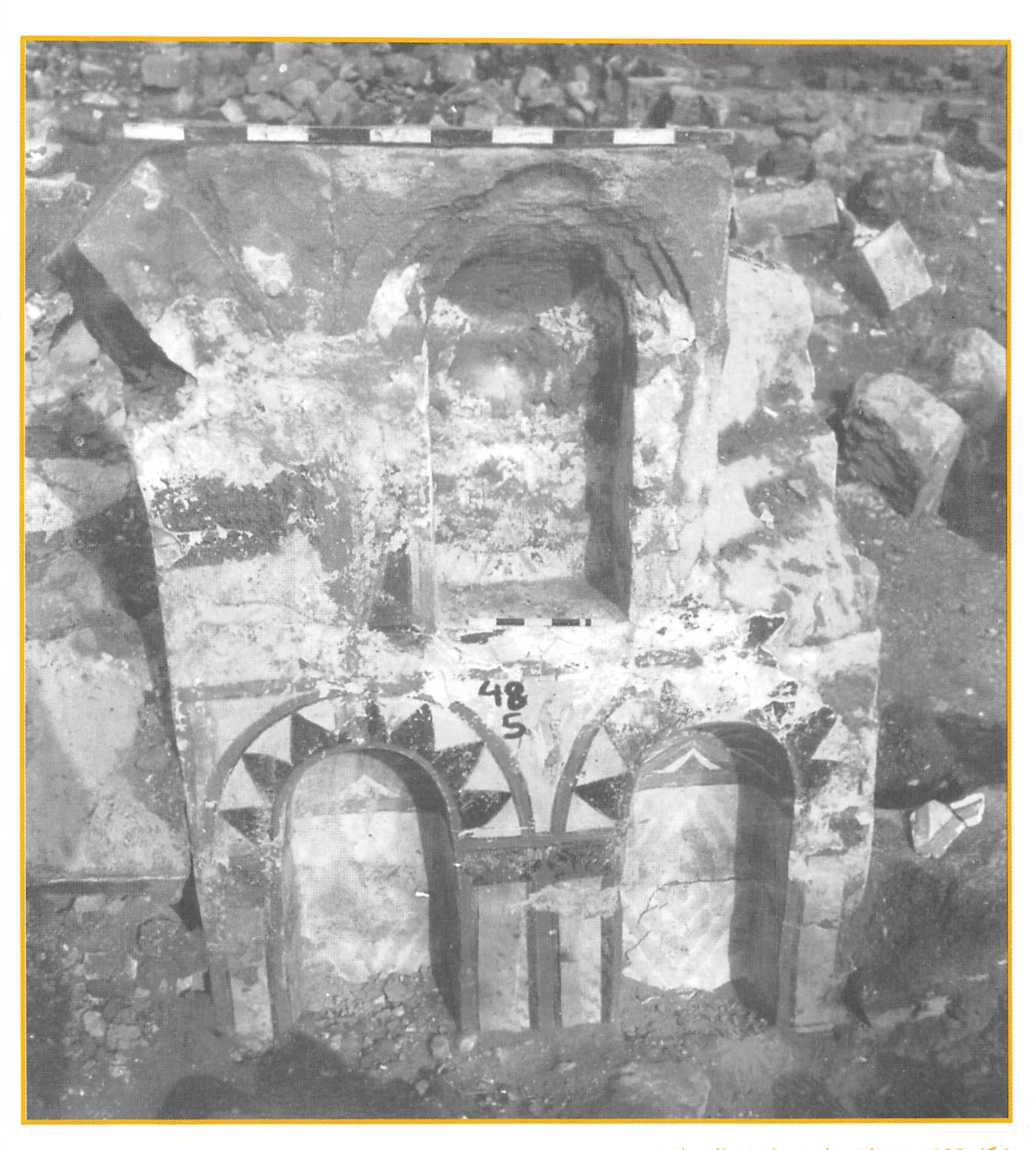
شكل 106: نماذج من الرسومات الجدارية

عُثر أثناء التنقيبات الأولى على أكثر من 250 قطعة من الرسومات الجدارية، وهي موجودة في متحف الآثار الفلسطيني في القدس. وقد قام أوليغ غرابار بدراسة الرسومات الجدارية، وهي منشورة في كتاب هاملتون الذي صدر سنة 1959 حول القصر (Grabar 1959: 294-324). استُخدمت الرسومات الجدارية في تزيين الجدران الداخلية للغرف (الأشكال 106-107)، وطُبقت على المنحوتات الحجرية والجصّية المقولبة لإظهار تفاصيلها. وقد وُجدت قطع الفريسكو في طبقات الردم، مبعثرةً ومتساقطةً من غرف الأدوار العليا في القصر. وتُظهر التصاميم أشكال الورود والتنين. وهي غنية بالألوان ويغلب عليها اللون الأزرق السماوي (Baramki 1953: 50). كما استُخدمت الرسومات الجدارية في تزيين جدران غرف أجنحة



شكل 107: رسم وردة باللّونين الأحمر والبني

النوم في القصر، وتم تلوين المثلثات المنحوتة على حجارة الشُرف الحجرية المسنّنة باللون الأحمر. وجرى تلوين حجارة القواعد والقمط في الحوض المزخرف باللونين الأحمر والأزرق (Baramki 1953: 51-55)، ولكن أكثر الألوان وُجدت على الشبابيك في منطقة الحمّام والفتحات التي كانت ما بينها (شكل 108)، واستُخدمت الألوان في إبراز حجارة القمط والأقواس فوق الشبابيك، ولُونت الفتحات بأشكال شعاعية بخطوط حمراء، والفتحات نفسها بألوان شبيهة بحجر المرمر، وهي تضم أشكالاً لوجوه بشرية وأشكال نباتية كورقة الأكانتوس الشائعة، إضافةً إلى أعداد كبيرة من قطع صغيرة تحمل أشكالاً نباتية وهندسية، وهي ذات ألوان زاهية تتضمن اللون الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر.



شكل 108: رسومات على محاريب الديوان

الفسيفساء

تمثل فسيفساء قصر هشام عنصراً فريداً ومميزاً للفن الإسلامي المبكّر (Baramki 1936, 1937, 1939, 1944 Hamilton 1959: 327-346, 1993: 928-929, Taha and Whitcomb 2014) وقد تم الكشف عن أرضيات الفسيفساء في الحمّام الساخن والديوان والسرداب. ورُصفت جميع أرضيات قاعة الاستقبال في الحمّام بالفسيفساء الملونة، تقطعها القواعد الحجرية وحمّام السباحة في الجهة الجنوبية. كما تم الكشف أيضاً عن أرضية فسيفساء الديوان على مستويين في حالة جيدة من الحفظ. وتتشكل أرضية قاعة الاستقبال الواسعة من ثمانٍ وثلاثين سجادة صُممت بطريقة معينة لتتناسب مع سقف الحمّام، وهي ذات أشكال دائرية أو مستطيلة. وتتشكل مكعبات أرضيات الفسيفساء من الحجر الطبيعي باللون الأحمر والبني والرمادي والأزرق إضافةً إلى الأبيض بظلاله المختلفة (Hamilton 1959: 339). أما نماذج الفسيفساء فهي ذات طابع تجريدي، وتتكون غالباً من أشكال هندسية ونباتية، وهي مميزة للفن الإسلامي المبكّر. ورغم أن الأمويين ورثوا هذه الحرفة من أسلافهم البيزنطيين، فلا يوجد أي مبنى من الفترة البيزنطية يماثل فسيفساء قصر هشام في حُسن تنفيذه وروعته. ويعتقد برامكي بأن هشام بن عبد الملك قد جنّد حرفيين من كافة أرجاء الخلافة، بما في ذلك حرفيون في فن الفسيفساء من إسطنبول (Baramki 1953: 45)، رغم أن الكثير من الدلائل تشير إلى أسماء الحرفيين المحليين لصنعة الفسيفساء، التي تستند لتقاليدَ راسخة لهذه الحرفة في فلسطين.



شكل 109: صورة تبين رصفة أرضية الفسيفساء في قاعة الاستقبال

يعرض هذا الفصل بشكل مختصر فسيفساء خربة المفجر. وهي أرضيات فسيفساء رائعة الجمال، تحتضنها مباني القصر، وتعود بتاريخها للنصف الأول من القرن الثامن الميلادي، أي في فترة الخلافة الأموية في الفترة الإسلامية المبكرة. لقد حظي بعض زوار القصر بمشاهدة هذه الفسيفساء عند كشفها لأول مرة في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي. وجرى نشر صور قليلة لهذه الفسيفساء، وما قام بنشره كل من هاملتون و جرابار (Hamilton 1959) كان مجرد رسومات مائية جيدة منسوخة عن اللوحات الأصلية، و قد نُشرت هذه الصور الملونة لأول مرة سنة 2014 (Taha and Whitcomb 2014)، بعد توثيقها سنة 2010 من قبل طاقم من دائرة الآثار الفلسطينية تحت إشراف د. حمدان طه.

كما أظهرت الدراسات الخصائص الإنشائية المميزة لهذه الأرضيات الفسيفسائية، وكيفية وضعها. وفي إطار الفحص الجيو-فيزيائي لأرضية قاعة الاستقبال في الحمّام سنة 2011، قام المهندس محمد ذياب (ذياب 2011)، بدراسة أرضية فسيفساء قاعة الحمّام الكبير، واستنتج بأن الرصفة التحضيرية لأرضية الحمّام ارتكزت على عدة طبقات (شكل 109) على النحو التالي:

- **الطبقة الأولى:** وهي طبقة الفسيفساء العليا، وتتكون من مكعبات الفسيفساء بألوان مختلفة، حيث وُجد في داخل إطار مساحتة 10 سم مربع من 38-53 مكعب فسيفساء، وتراوح سُمك حجر الفسيفساء ما بين 13-16 ملم.

- **الطبقة الثانية:** وهي طبقة الطينة الجيرية، والتي تتكون من الشيد، وسُمكها يتراوح ما بين 1.8-2.2 سم، واستُخدمت هذه الطبقة لتثبيت مكعبات الفسيفساء في الطبقة الطينية التحضيرية.

- **الطبقة الثالثة:** وهي طبقة الطينة الرمادية، وتتكون من خليط من الرماد والشيد والحصى الكبيرة وكِسر من الحجارة الملونة، وهي المخلفات الناتجة عن عملية تصنيع الفسيفساء. ويتراوح سُمكها ما بين 11-13 سم، وطينة صلبة مضغوطة بصورة جيدة.

- **الطبقة الرابعة:** وهي الطبقة الأخيرة في الأسفل، وتتراوح سماكتها ما بين 14-16 سم، وتتكون من طبقة من الطينة الرمادية، تتخللها قطع صغيرة وكبيرة من الحجارة الرملية، مرصوفة بشكل مستوٍ، مع طبقة من الرماد والحصى وقليل من كِسر الحجارة الملونة، وتتكون الطينة في هذه الطبقة من الجير وكِسر الحجارة الملونة، وهي مضغوطة بشكل جيد. وتتميز طبقة الرصفة بصلابتها، وهذا يشير إلى تقنية رص وصقل الطبقات بشكل منفصل.



شكل 110: قطع فسيفساء مذهّبة

وقد أظهرت التنقيبات الفلسطينية-الأمريكية في المنطقة الشمالية سنة 2010-2015 قطعاً من الفسيفساء المذهبة على السطح (شكل 110) وكميات كبيرة من مكعبات الفسيفساء في إحدى الغرف، بما يشير إلى أن مشاغل فسيفساء القصر كانت في هذه المنطقة.

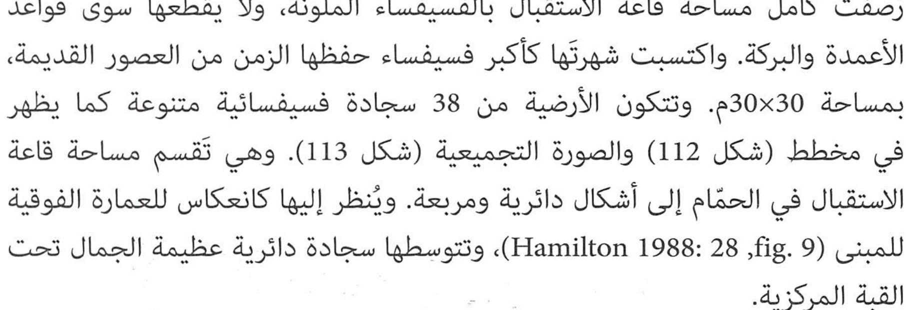
فسيفساء القصر



شكل 111: قطعة فسيفساء من الطابق العلوي للقصر

أشار د. برامكي في تقارير التنقيب إلى أنه تم الكشف عن قطع من الفسيفساء البيضاء في ساحة القصر والجناح الغربي، كما تم العثور على قطع من أرضيات الفسيفساء في غرف الجناح الشرقي للقصر، يظهر عليها أشكال نباتية وطير داخل دائرة (شكل 111). وقد فُسرت بأنها قطع فسيفساء متساقطة من غرف القصر العليا (Baramki 1953: Pl. 32: fig. 1). كما وُجدت قطع أكبر حجماً في الرواق الجنوبي، وهي موجودة الآن في المتحف الفلسطيني في القدس. وتظهر نماذج لزخارف مجدولة ومتداخلة وورود، لا تختلف عن حواشي سجّادة الديوان أو ممر رقم 28 في قاعة الاستقبال (Taha and Whitcomb 2014: 23). ولاحظ برامكي أن معظم قطع الفسيفساء قد جاءت من الغرف الجنوبية الشرقية للقصر، وأن القليل من المكعبات الفسيفسائية وُجدت في الرواق الشمالي، وربما يشير هذا إلى اختيار غرف النوم في الطابق العلوي في الجهتين الجنوبية والشرقية المطلتين على سهل وادي الأردن.

فسيفساء قاعة الاستقبال



رُصفت كامل مساحة قاعة الاستقبال بالفسيفساء الملونة، ولا يقطعها سوى قواعد الأعمدة والبركة. واكتسبت شهرتَها كأكبر فسيفساء حفظها الزمن من العصور القديمة، بمساحة 30×30م. وتتكون الأرضية من 38 سجادة فسيفسائية متنوعة كما يظهر في مخطط (شكل 112) والصورة التجميعية (شكل 113). وهي تَقسم مساحة قاعة الاستقبال في الحمّام إلى أشكال دائرية ومربعة. ويُنظر إليها كانعكاس للعمارة الفوقية للمبنى (Hamilton 1988: 28 ,fig. 9)، وتتوسطها سجادة دائرية عظيمة الجمال تحت القبة المركزية.

وُصفت القاعة كردهة استقبال (فرجيداريوم) حسب النموذج الروماني (Hamilton 1959: 55-48)، وفي مرحلة لاحقة وصفها هاملتون كمجلس للّهو استناداً لرواية متأخرة لابي الفرج الأصفهاني (Hamilton 1988: 22-32). وأغلب الظن أن القاعة كانت ذات وظائف متعددة الأغراض، كقاعة استقبال واجتماع ومُسامرة واستضافة المناسبات الاجتماعية وأداء الحفلات الموسيقية (Taha and Whitcomb 2014: 24).

وقد بيّن هاملتون سبعة أنماط تصميمية لفسيفساء القاعة، ووصف خصائص هذه الفسيفساء بالمقارنة مع الأمثلة التي سبقتها من هذا الفن في الشرق الأوسط (Hamilton 1959: 329). وقدّم اللوحات الفسيفسائية (Hamilton 1959: 258) حسب الصفوف منطلقاً في القاعة من الغرب إلى الشرق. والوصف الحالي يرتكز عموماً لتقسيم هاملتون، ومستمد من وصف د. حمدان طه و د. دونالد ويتكومب الجديد لفسيفساء خربة المفجر (Taha and Whitcomb 2014)، وهو على النحو التالي:

أ- السجادة الدائرية المركزية على شكل ميدالية، والتي يُعتقد أنها تقع تحت القبّة العليا مباشرة، وهي رقم 1 (رقم 17 حسب ترقيم هاملتون)، وتمتاز هذه السجادة بتصميم على شكل الدوامة، وتحيط بها حاشية على شكل شريط متحرك وأشكال نباتية. وهناك أربع لوحات دائرية على

هذا النحو (رقم 2 و 3 و4 و5)، وتقع كل واحدة منها بين أربعة أعمدة، ويمكن أن تعلوها قباب فرعية، وهي توصف بأنها ذات تصاميم دائرية مركزية متداخلة، واللوحات الدائرية الشمالية ذات تصاميم أكثر كثافة، والجنوبية ذات تفاصيل أقل، خصوصاً السجادة رقم 5.

ب- هناك سجادتان مستطيلتا الشكل، رقم 6 و 7، وهما ذات أهمية خاصة كما تدل حواشيهما، واحدة عند دخول القاعة عبر سجادة صغيرة بزخارف ذات أشكال معينية كما هو الحال عند مدخل الديوان، وهي شبيهة بسجّادة الدّوس التي تفرش عند عتبات البيوت الحالية، والسجّادة ذات الإطار رقم 7 تمتد ما بين السجّادة الدائرية رقم 4 و 5 وتنطوي على أهمية خاصة في الجانب الجنوبي من القاعة. أما السجّادات المستطيلة الأخرى فهي توصف بزخارفها المجدولة على محور مستقيم. إن هذه المجموعة من السجّادات مثل سجّادة رقم 8 الموجودة أمام حنية رقم V والسجّادة رقم 10 في الركن الجنوبي الغربي، تنطوي على دلالات إضافية للقاطع الجنوبي الغربي للقاعة.

ج- إن الأهمية التصميمية للسجّادات الدائرية على شكل الميدالية، واضحة للعيان من خلال اللوحات المستطيلة الأربع حولها. وكما لاحظ هاملتون فالجهات المتقابلة تكرر نفس التصميم. وبدءاً من السجّادة الدائرية المركزية العظيمة رقم 1، فإن السجّادتين على الطرفين الشرقي والغربي، رقم 11 و 12، تكرر نفس الأشكال النباتية، والسجّادتان الشمالية والجنوبية، رقم 13 و 14، تكرر نفس تصاميم الأشكال المعينية. والسجّادتان الأخيرتان ذات أشكال معينية شبيهة بسجادة العتبة، كما أن سجادة رقم 15 تحتوي على رمز خاص داخلها. إن تناظر الأشكال يصح أيضاً على باقي السجّادات الدائرية، فالدائرة رقم 2 تشبه السجّادات رقم 15 و 17 والدائرة رقم 3 تشبه السجّادات رقم 19 و 21.

ويختل هذا المبدأ في التصميم حول السجّادتين الدائريتين الجنوبيتين، رقم 4 و 5، نظراً لطول الممر رقم 7 والبركة الكبيرة. وهناك سجّادة مميزة رقم 26 تتوسط أربعة أعمدة في الجهة الشمالية للقاعة، وُصفت بأنها ذات دوائر متداخلة، ويمكن النظر إليها بأنها ذات تجريد نباتي لأشكال معينية. وأخيراً فالسجّادة رقم 27 الواقعة إلى الشمال من سجّادة رقم 26 ذات أشكال معينية وحواشي بتصاميم نباتية. وتظهر امتدادات السجّادات تحت درج البركة الجنوبية، ما يشير إلى أن البركة أضيفت في مرحلة لاحقة لبناء القاعة الأصلي.

د- يوجد حول المحيط الخارجي للقاعة، ثلاث سجّادات طويلة على شكل البساط بزخارف متداخلة (مجدولة)، والبساط الشرقي والغربي متناظران تقريباً، رغم أن البساط رقم 29 أكثر أُبهة وتحيط به حواشٍ من الجهتين، في حين إن البساط الآخر بحاشية خارجية واحدة فقط، من جهة الحنيات.

هـ- يتميز الجدار الخارجي لقاعة الاستقبال بوجود حنيات على شكل المحاريب الكبيرة، ثلاثة في كل جهة، ما عدا جهة المدخل الشرقية، وهناك ثماني حنيات مرصّعة أرضياتها بالفسيفساء، وقد أطلق عليها هاملتون أرقاماً رومانية، وقد احتسب ثلاثاً منها تحت البركة في الجهة الجنوبية. ولا شك أن حنية رقم V أكثرها فخامة، وتقع في محور مركزي مع الباب الشرقي لقاعة الاستقبال، وعلى مدخلها رمز السكين والفاكهة، والذي فُسّر كرمز للخصوبة في الكنائس البيزنطية كما أوضح غازي بيشه (2000) في بحثه عن الموضوع. ومساحة الفسيفساء التي تقع خلفها تحمل أشكال الدوّامة الشبيهة بتصميم فسيفساء السجّادة المركزية. أما فسيفساء الحنيات الأخرى فتُظهر أشكالاً متنوعة وعشوائية في التصميم، والحنيات رقم IV و IX ذات زخارف نباتية، ومعظم الحنيات المتبقية تحمل أشكال قوس قزح، وأخيراً الحنية رقم XI الواقعة في الزاوية الجنوبية الشرقية ذات أشكال زخرفية متداخلة شبيهة بالسجّادات الدائرية رقم 4 و 5 في الجهة الجنوبية أيضاً. ولا شك أن السجّادات الثماني والثلاثين في قاعة الاستقبال تحمل الكثير من المعاني والدلالات، وأن ترتيب هذه السجّادات لم يكن عشوائياً، وأن وضعية هذه السجّادات تعكس عمارة البنية الفوقية للقاعة، وربما الأنشطة التي كانت تقوم عليها.



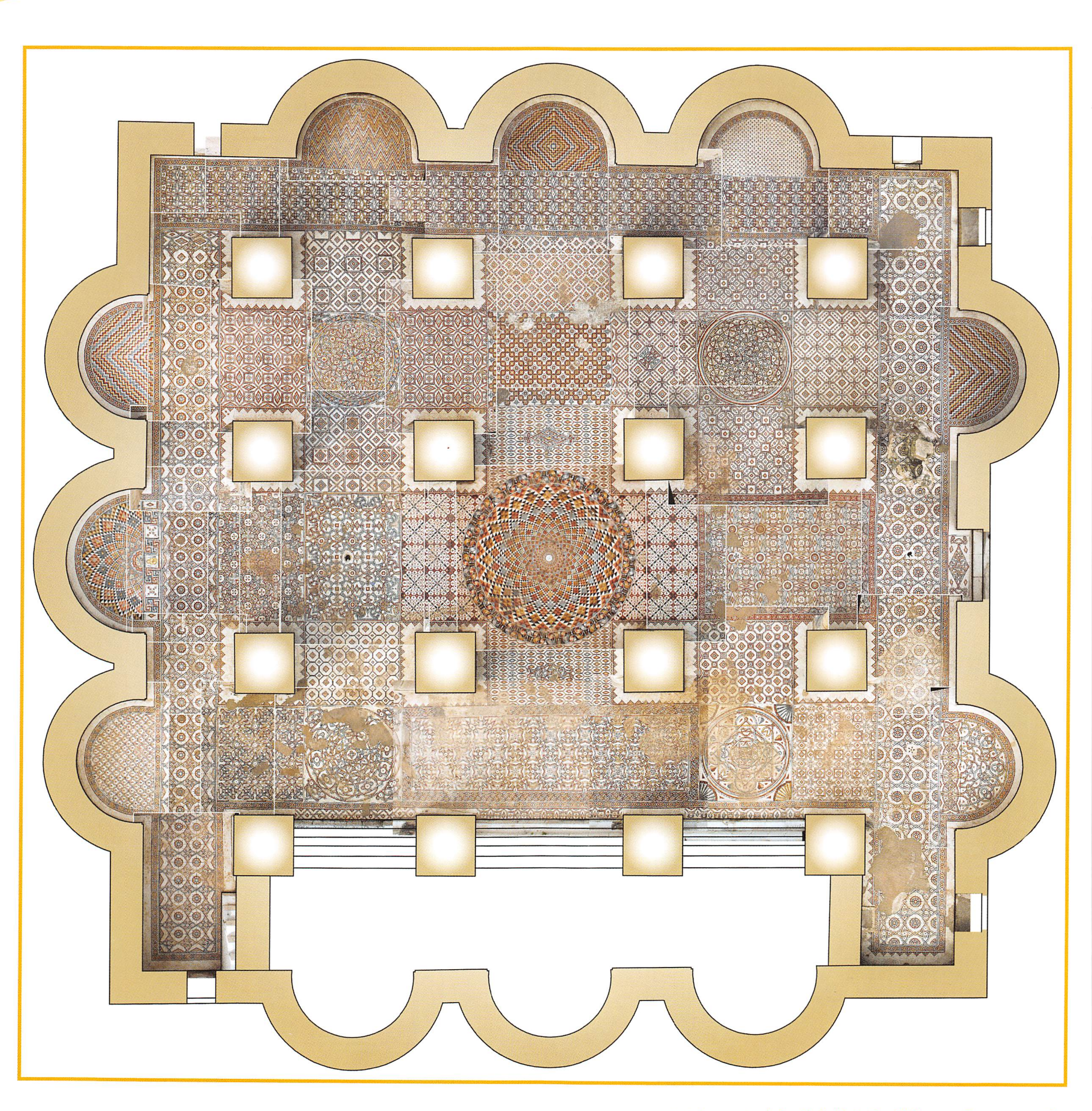
شكل 112: مخطط الحمّام الكبير

مخطط قاعة الاستقبال

هاملتون 1959 شكل: 258، لوحة 104

تعديل: طه و ويتكومب 2014، ص 40

ب
د
أ
ج
هـ
و
أ
الديوان
حنية VII
حنية VIII
حنية IX
لوحة 29
21
27
17
لوحة 26
19 → 3 ← 20
15 → 2 ← 16
حنية VI
حنية X
13
22
18
لوحة 30
9
8
11 → لوحة 1 ← 12
لوحة 6
لوحة 28
حنية V
23
24
14
10
4
لوحة 7
5
25
حنية IV
حنية XI
حنية III
حنية II
حنية I
0 5 10 20m



شكل 113: صورة تجميعية لفسيفساء قاعة الاستقبال (م. محمد ذياب)

ترتيب عرض اللوحات الفسيفسائية

فسيفساء قاعة الاستقبال

شكل 114: اللوحة رقم 1، مع 11، 12، 13، 14 (اللوحة الفسيفسائية الدائرية الرائعة مع اللوحات المتصلة بها).

شكل 115: اللوحة رقم 2 (اللوحة الدائرية الشمالية الشرقية)

شكل 116: اللوحة رقم 15 (زخرفة فسيفسائية مضلعة، وفي الوسط زخرفة معقودة)

شكل 117: اللوحة رقم 16 (زخرفة فسيفسائية مضلعة)

شكل 118: اللوحة رقم 17

شكل 119: اللوحة رقم 18 (زخرفة فسيفسائية مضلعة)

شكل 120: اللوحة رقم 3 (اللوحة الدائرية الشمالية الغربية)

شكل 121: اللوحة رقم 19

شكل 122: اللوحة رقم 20

شكل 123: اللوحة رقم 21

شكل 124: اللوحة رقم 22

شكل 125: اللوحة رقم 4 (اللوحة الدائرية الجنوبية الغربية)

شكل 126: اللوحة رقم 10

شكل 127: اللوحة رقم 23

شكل 128: اللوحة رقم 5 (اللوحة الدائرية الجنوبية الشرقية)

شكل 129: اللوحة رقم 24

شكل 130: اللوحة رقم 25

شكل 131: الحنية الشرقية رقم X

شكل 132: الحنية الشرقية رقم XI

شكل 133: اللوحة رقم 6 (سجّادة المدخل الشرقية)

شكل 134: المدخل والممر الشرقي رقم 28

شكل 135: الممر الشرقي رقم 28 (من الزاوية الجنوبية الشرقية)

شكل 136: الحنية الشمالية رقم VII

شكل 137: الحنية الشمالية رقم VII

شكل 138: الحنية الشمالية رقم IX

شكل 139: السجّادة الشمالية رقم 26 (الحديقة)

شكل 140: السجّادة الشمالية رقم 27

شكل 141: الممر الشمالي رقم 29، من الزاوية الشمالية الشرقية

شكل 142: السجادة الجنوبية رقم 7

شكل 143: الحنية الغربية رقم IV

شكل 144: الحنية الغربية رقم V

شكل 145: الحنية الغربية رقم VI

شكل 146: السجّادة الغربية رقم 8

شكل 147: السجّادة الغربية رقم 9

شكل 148: الممر الغربي رقم 30، من الزاوية الشمالية الشرقية

فسيفساء الديوان

شكل 149: سجادة الديوان، مع المدخل والبسطات المرتفعة (المقاعد الجانبية)

شكل 150: سجّادة شجرة الحياة (حنية الديوان)

فسيفساء السرداب

شكل 151: منظر للسرداب باتجاه الغرب، حيث يظهر جدار الطوب

شكل 152: سجادة المحراب «أ»

شكل 153: سجادة المحراب «ب»

فسيفساء المناطق الاخرى

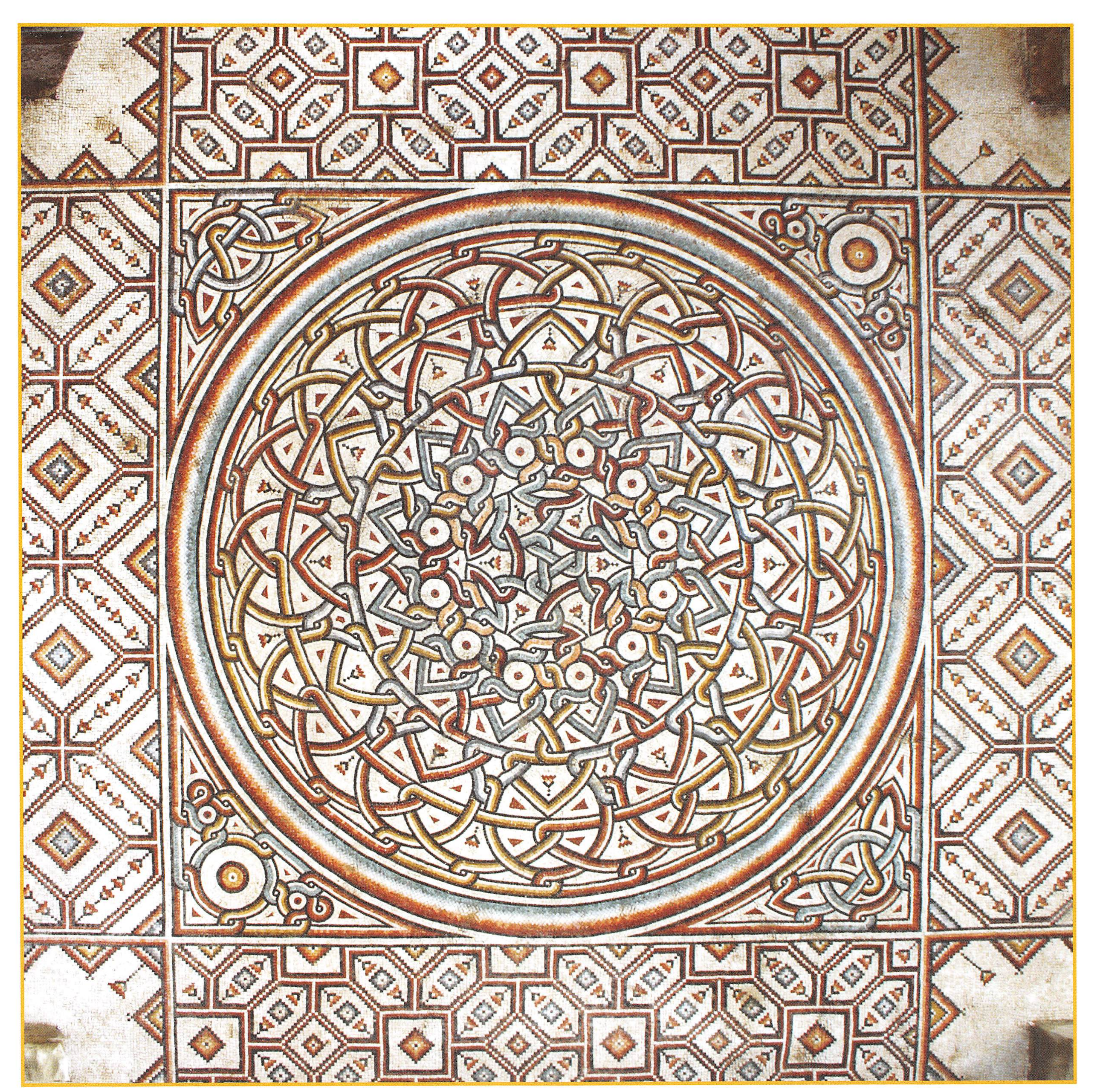
شكل 154: الغرفة F الى الشرق من الحمّام، غرفة المرحاض الكبيرة ذات فسيفساء بيضاء حول النافورة في المركز (برامكي 1953، لوحة LXXVI).

شكل 155: المنطقة رقم 6 في المنطقة الشمالية، معصرة العنب التي تعود للفترة الأموية رُصفت جميع أرضياتها بالفسيفساء البيضاء.



فسيفساء قاعة الاستقبال

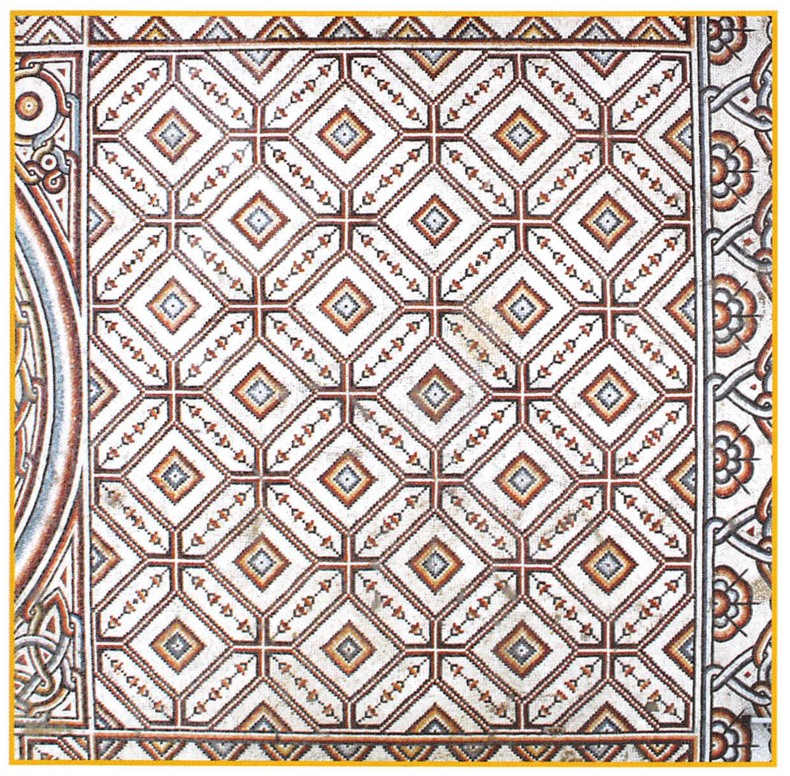
شكل 114: اللوحة رقم 1، مع 11، 12، 13، 14 (اللوحة الفسيفسائية الدائرية الرائعة مع اللوحات المتصلة بها).



شكل 115: اللوحة رقم 2 (اللوحة الدائرية الشمالية الشرقية).



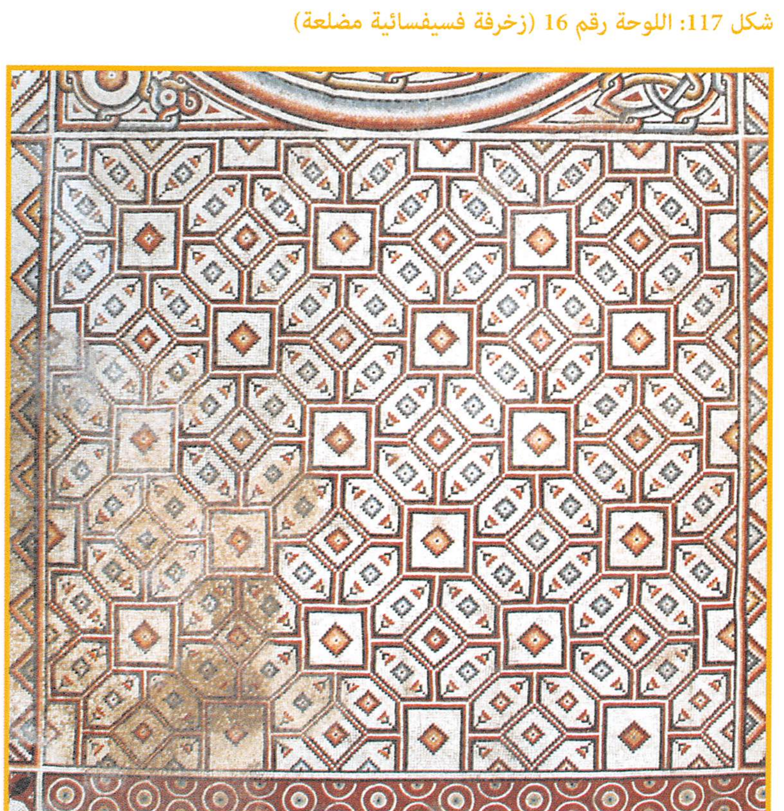
شكل 116: اللوحة رقم 15 (زخرفة فسيفسائية مضلعة، وفي الوسط زخرفة معقودة)



شكل 117: اللوحة رقم 16 (زخرفة فسيفسائية مضلعة)

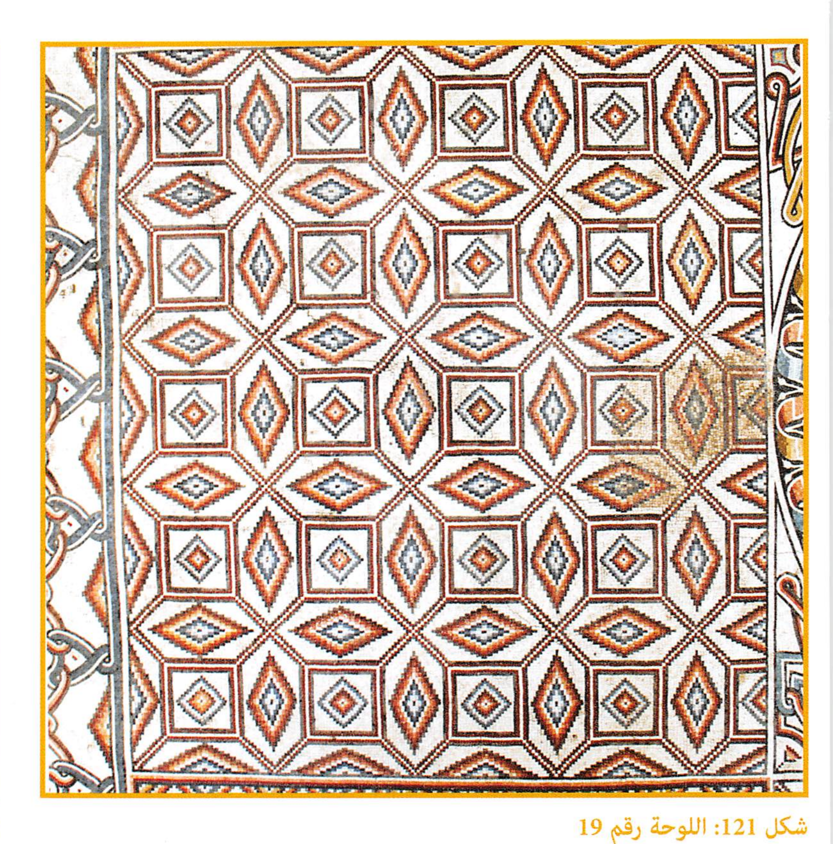


شكل 118: اللوحة رقم 17



شكل 119: اللوحة رقم 18 (زخرفة فسيفسائية مضلعة)

شكل 120: اللوحة رقم 3 (اللوحة الدائرية الشمالية الغربية)



شكل 121: اللوحة رقم 19

شكل 122: اللوحة رقم 20



شكل 123: اللوحة رقم 21



شكل 124: اللوحة رقم 22



شكل 125: اللوحة رقم 4 (اللوحة الدائرية الجنوبية الغربية)



شكل 126: اللوحة رقم 10



شكل 127: اللوحة رقم 23

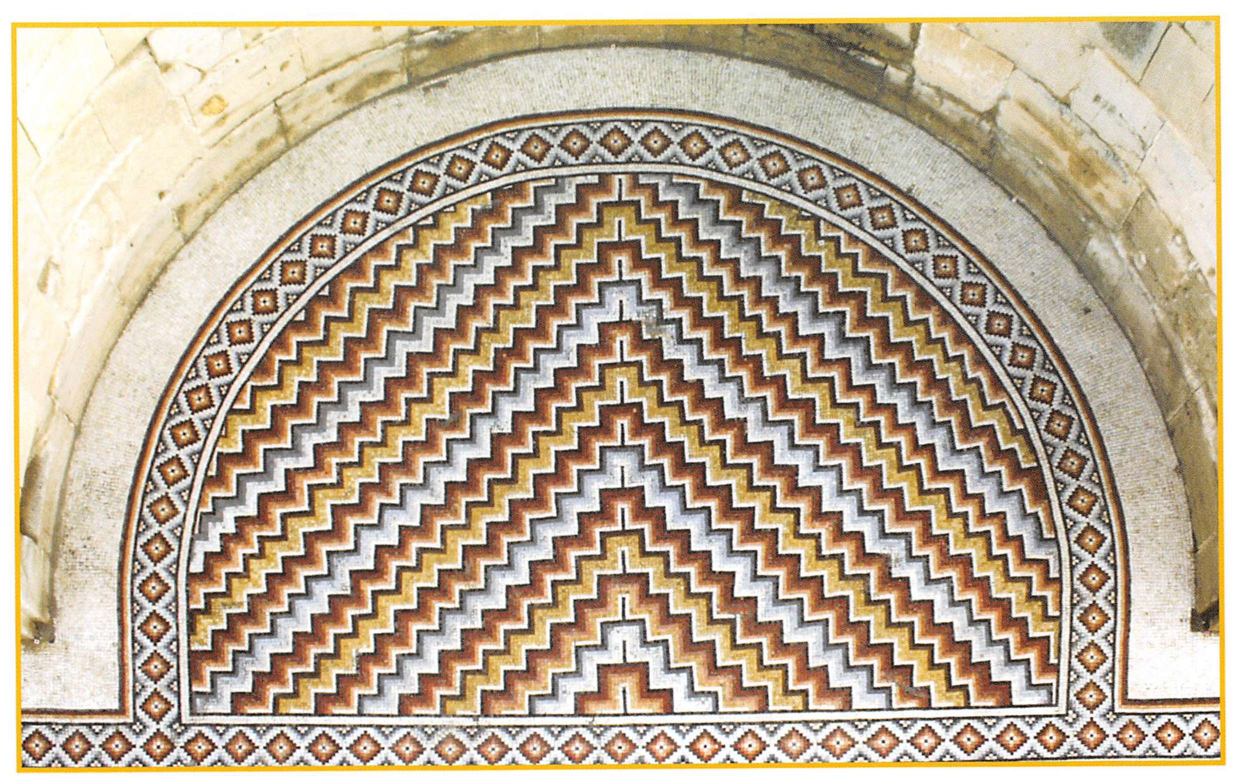
شكل 128: اللوحة رقم 5 (اللوحة الدائرية الجنوبية الشرقية)



شكل 129: اللوحة رقم 24



شكل 130: اللوحة رقم 25



شكل 131: الحنية الشرقية رقم X



شكل 132: الحنية الشرقية رقم XI



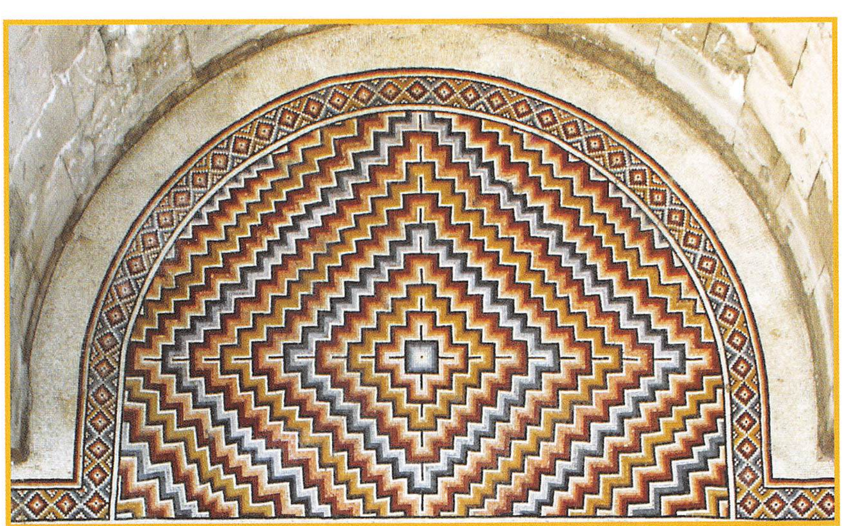
شكل 133: اللوحة رقم 6 (سجّادة المدخل الشرقية)



شكل 134: المدخل والممر الشرقي رقم 28

شكل 135: الممر الشرقي رقم 28 (من الزاوية الجنوبية الشرقية)


شكل 136: الحنية الشمالية رقم VII


شكل 137: الحنية الشمالية رقم VII


شكل 138: الحنية الشمالية رقم IX



شكل 139: السجّادة الشمالية رقم 26 (الحديقة)



شكل 140: السجّادة الشمالية رقم 27

شكل 141: الممر الشمالي رقم 29، من الزاوية الشمالية الشرقية



شكل 142: السجادة الجنوبية رقم 7

شكل 143: الحنية الغربية رقم IV



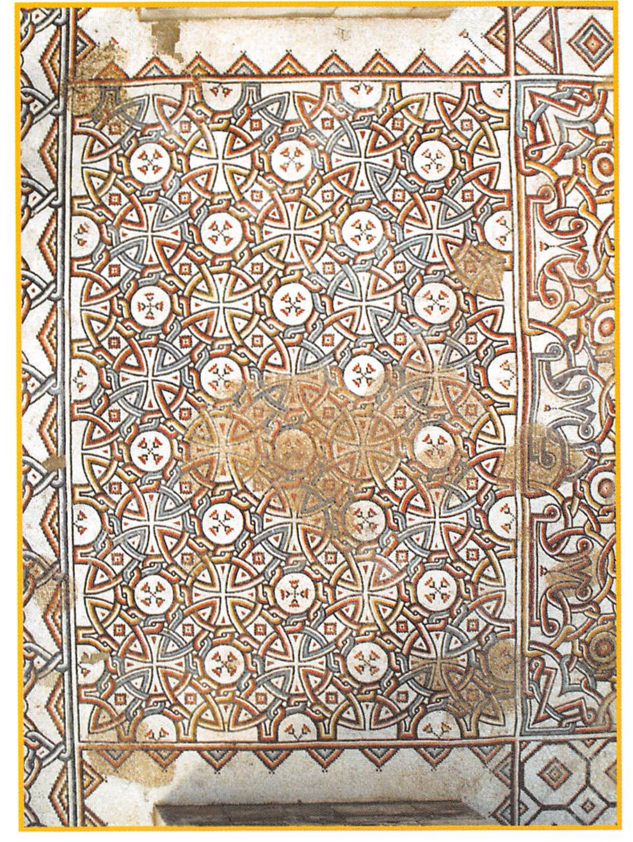
شكل 144: الحنية الغربية رقم V



شكل 145: الحنية الغربية رقم VI



شكل 146: السجّادة الغربية رقم 8



شكل 147: السجّادة الغربية رقم 9

شكل 148: الممر الغربي رقم 30، من الزاوية الشمالية الشرقية

سيفساء الديوان

صفت أرضية غرفة الديوان على المستويين بالفسيفساء الملونة، وتم الكشف عنها أثناء عمليات التنقيب وهي بحالة حفظ جيدة، وقد وصفها هاملتون بأنها أرضية الفسيفسائية الوحيدة المصورة في القصر (Hamilton 1959: 337-339). يدلف الداخل إلى غرفة انتظار مستطيلة ومزيّنة بزخارف على شكل قوس زح، وهي تشبه في زخارفها الحنية المركزية الشمالية رقم VIII في قاعة الاستقبال، والتي ربما تحمل دلالة خاصة، باعتبارها رأس المجلس، وعند الباب الذي صلها بقاعة الاستقبال توجد سجّادة مستطيلة صغيرة عند العتبة، مزينة بزخارف معينية الشكل شبيهة بتلك الموجودة عند مدخل قاعة الاستقبال. إن فسيفساء أرضية عبارة عن سجّادة بحاشية مزدوجة، وحواف رفيعة حمراء، ومضفّرة على شكل الجديلة. ومركز السجّادة نماذج قوس قزح وأشكال معينية. والغرفة مزودة لمقاعد على الجهتين، وهي مغطاة بشرائط من الفسيفساء بأشكال معينية.



شكل 149: سجادة الديوان، مع المدخل والبسطات المرتفعة (المقاعد الجانبية)

ا منصة العرش نصف الدائرية مرتفعة في نهاية الديوان جنوبية، فمزينة بلوحة شجرة حياة الشهيرة، التي تُعتبر من وائع فن الفسيفساء الأموي، تحاكي شجرة البرتقال أو نارنج، بأغصان خضراء متموجه مزيج بديع من مستويات ألوان المتدرجة، ويُظهر الفنان عض الصفات التشريحية لساق شجرة. وقد رُصعت الشجرة حبات فسيفساء صغيرة جداً، ن الحجارة الملونة والزجاج مذهب، وتوحي حاشيتها معقودة من جميع الجهات أن هذه الفسيفساء منسوخة ن سجّادة حقيقية، حاكها سانع ماهر. وتحت الشجرة ي الجهة اليسرى مشهد رسم أسد ينقض على غزال، والجهة ليمنى لغزالين يرعيان بسلام (Behrens-Abouseif 1997). ويرمز هذا المشهد ربما إلى ثنائية الحياة، كالخير والشر والحرب والسلام.

شكل 150: سجّادة شجرة الحياة (حنية الديوان)

فسيفساء الحمـــّام الصغير (السرداب)

رُصفت أرضية الحمّام الصغير (السرداب) بفسيفساء ملونة بأشكال معينية بسيطة، وهي شبيهة بتلك الموجودة في قاعة الاستقبال، نمط «ج». وفي الجانب الشمالي الشرقي هناك أشكال قوس قزح. كذلك فإن فسيفساء المقاعد الجانبية رُصفت في إطار من حجر المرمر بأشكال زوايا متموّجة ومكعبات بحجم أصغر، والحنيتان الجانبيتان مرصوفتان بالفسيفساء على شكل قوس قزح. وقد جرت عملية ترميم واسعة لأرضيات الفسيفساء في السرداب سنة 1997 بالتعاون مع اليونسكو.

شكل 151: منظر للسرداب باتجاه الغرب، حيث يظهر جدار الطوب



شكل 152: سجادة المحراب «أ»

شكل 153: سجادة المحراب «ب»

مرافق أُخرى

استُخدمت الفسيفساء في رصف أرضيات مرافق أخرى في القصر، فقد رُصفت أرضية قاعة المراحيض العامة في الحمّام الكبير بالفسيفساء البيضاء الكبيرة، إلى جانب معصرة العنب في المنطقة الشمالية التي رُصفت أرضيتها بفسيفساء بيضاء كبيرة أيضاً. وهو نوع الفسيفساء المستخدم في رصف الساحات العامة. وشاع هذا الاستخدام في رصف الساحات المكشوفة في الأديرة ومعاصر العنب بالفسيفساء البيضاء الكبيرة في فلسطين في الفترتين الرومانية والبيزنطية.



شكل 154: الغرفة F الى الشرق من الحمّام، غرفة المرحاض الكبيرة ذات فسيفساء بيضاء حول النافورة في المركز (برامكي 1953، لوحة LXXVI).

شكل 155: المنطقة رقم 6 في المنطقة الشمالية، معصرة العنب التي تعود للفترة الأموية رُصفت جميع أرضياتها بالفسيفساء البيضاء.

النقوش والكتابات

تم العثور على مجموعة من النقوش والكتابات بلغات مختلفة في خربة المفجر، وتضم 12 نقشاً يونانياً، نَشر منها السيد م. شوابي في فصلية الآثار الفلسطينية (Schwabe QDAP XII: 20-30)، وثمانية عشر نقشاً باللغة العربية، نشرها ديميتري برامكي، وضمّن معظمها في رسالته لنيل شهادة الدكتوراه سنة 1953. وقد أعاد روبرت هاملتون نشر بعض هذه النقوش سنة 1959 (Hamilton 1959: 42-44). وخُطت معظم النقوش والكتابات بالحبر الأسود على كِسر من حجارة المرمر. أما النقوش العربية فقد كُتبت بالخط الكوفي، وتتراوح في قوامها ما بين بضعة حروف وكلمات إلى بضعة أسطر، ومعظم هذه النقوش تعود إلى القرن الثامن، وخصوصاً الفترة ما بين 723-744 ميلادي، وهي فترة بناء القصر، عدا نقشين وجدا في أفنية القصر الخارجية ربما يعودان إلى القرن الثاني عشر (Baramki 1953: 116-117).

والنقوش غير موحدة، وتتفاوت في درجة اتقان الخط فيها، بما يشير إلى أكثر من كاتب، وتتنوع مواضيع هذه النقوش، وأبرز هذه الكتابات النقش الخاص بأمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، وذُكر اسم عبيد الله بن عمار في ثلاثة نقوش، ويبدو أنه كان يتبوأ مكانةً مهمة في مشروع بناء القصر، كما وردت بعضُ الأسماء العربية الكاملة، منها كلثوم بن إياد ومحمد بن عبد الملك وعبد الله بن سليم. وتحمل بعض النقوش نصوصاً وعبارات دينية مثل سورة الفاتحة والبسملة، ثم مراسلات وعبارات ونقوشاً تمرينية، وربما يُعتبر نقش الأبجدية في قصر هشام أقدم نقش للأبجدية العربية يُكتشف في السياقات الأثرية.

وإلى جانب هذه النقوش، هناك العديد من حجارة القصر التي خُطت عليها أسماء أشخاص باللون الأحمر. وتعود غالبيتها لأسماء بنّائين في القصر، ذلك أن معظم هذه الأسماء وجد في منطقة عمل البنّائين، وقد وُضعت في الرُّكام الذي رُدمت به أساسات البناء، وهي تدل على أن غالبية البنّائين وحرفيي الفسيفساء والنجارين وعمال القصارة هم من العمال المحليين الفلسطينيين (Hamilton 1959: 43). ومن أسماء البنائين والحرفيين عثمان ويوسف وقسطنطين ويوحنا وسعيد وعبد وقسطة. وهذا دليل على أن العاملين في القصر كانوا من معتقدات دينية مختلفة ويضمون العرب والروم والمسلمين والمسيحيين (Baramki 1953: 117). وتُلقي هذه الكتابات الضوء على الخط العربي الكوفي المبكّر في فلسطين (العزة 1990) في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي، وهي مرحلة مهمة في تطور الخط العربي. وهذه بعض النماذج من هذه الكتابات:

نقش 42.19

بسم الله الرحمن الرحيم
ا ... كـ ... سلم الى عبد
الله بن سليم سلم عليك فاني
احمد اليك الله الذي لا اله
الا هو
اما بعد فاكتب

نقش 42.26

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب
العالمين الرحمن الرحيم
ملك يوم الدين

نقش 42.36

عطشطشر فوشر ولوثر ولوثر
اللهم صل على محمد وصحبه

نقش رقم 42.37

بسم الله الرحمن الرحيم
محمد جتيللم جميلا
عطشطشر فوشر ولو
ثر ولوثر اللهم
صل على محمد وصحبه

نقش رقم 42.36

لعبد الله هشام امير المؤمنين
صلحه الله واقنع به امـ (ته)

نقش رقم 42.44

س مسماس
حـــ ن مو حمار
الها المرس ار
ن د حل
صـ

نقش 42.50

بسم الله الرحمن الرحيم
هذا الله

نقش 42.53

بسم الله الرحمن الرحيم
من اسحق بن محمد الى عبيد
الله بن محمد سلم عليك

نقش 43.61

بسم الله الرحمن
الرحيم من عبيد ا
لله بن عمر

نقش 42.65

بسم الله الر
حمن
الرحيم من
كلثوم بن عيا
ض الى محمد بن
عبد الملك
سلم عليك
فاني احمد اليك
الله الذي لا اله ا
لا هو اما بعد

نقش 59. 42

بسم الله بالله محمد رسول الله اللهم
صل على محمد عبدك و رسولك
ونبيك افضله.. على احد من خلقك
اللهم ...... خليل من رفقائه اللهم
.... اللهم اغفر لمن دخل هذا

شكل 156: نماذج من النقوش على الحجر

الفصل الخامس: المواد الحضارية

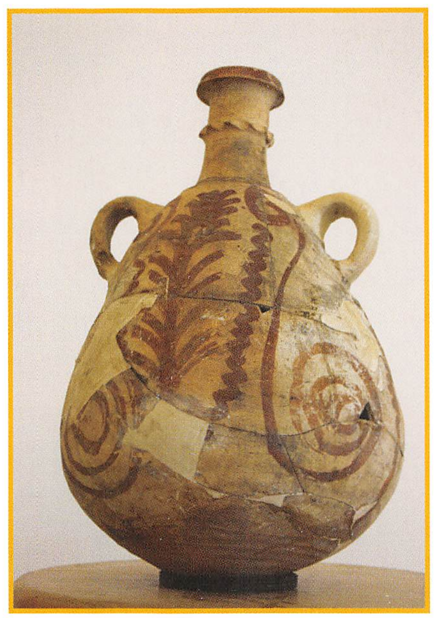
أظهرت التنقيبات الأولى في خربة المفجر ما بين 1934-1948 الكثير من المواد الحضارية كالأواني الفخارية والأسرجة والتماثيل الحجرية والجصّية التي تمتد بتاريخها من الفترة الأموية وحتى الفترة الأيوبية. وكان من اللافت أن تقارير التنقيبات الأولى لم تُشِر إلى دائرة واسعة من المواد الحضارية التي تظهر عادة في مثل هذه السياقات الأثرية كالعملات والزجاج والمواد المعدنية والخرز والمواد العضوية..إلخ. كما لوحظ غياب أية تقارير عن المواد العظمية البشرية أو الحيوانية، رغم أن بعض صور التنقيب في القصر تُظهر بقايا هياكل عظمية (Baramki 1953: Pl. 32: fig. 4) في طبقات الردم في القصر (شكل 157). ويبدو أن غياب اللقى الصغيرة يعود جوهرياً إلى طريقة التنقيب المعمارية التي اتُّبعت في التنقيبات الأولى، وغياب تقنيات جمع المواد الدقيقة من خلال أسلوب التنخيل والتطويف التي اتُّبعت في التنقيبات الحديثة، وأظهرت العديد من المواد غير الواردة في تقارير التنقيبات السابقة.



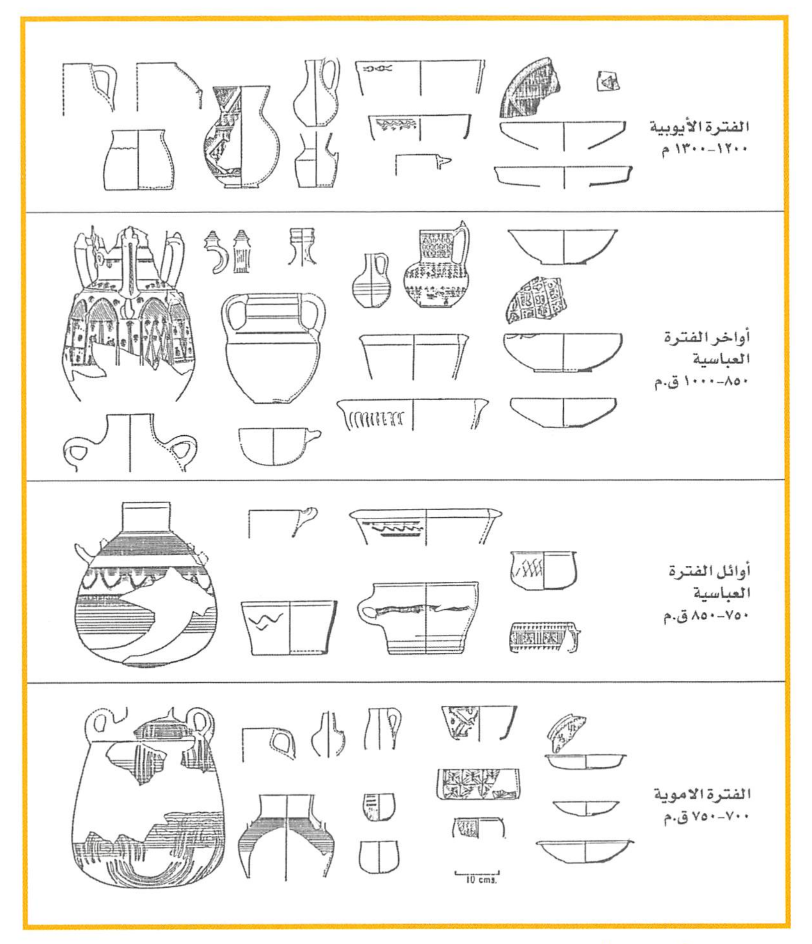
شكل 157: هيكل عظمي في ردم القصر

الفخار

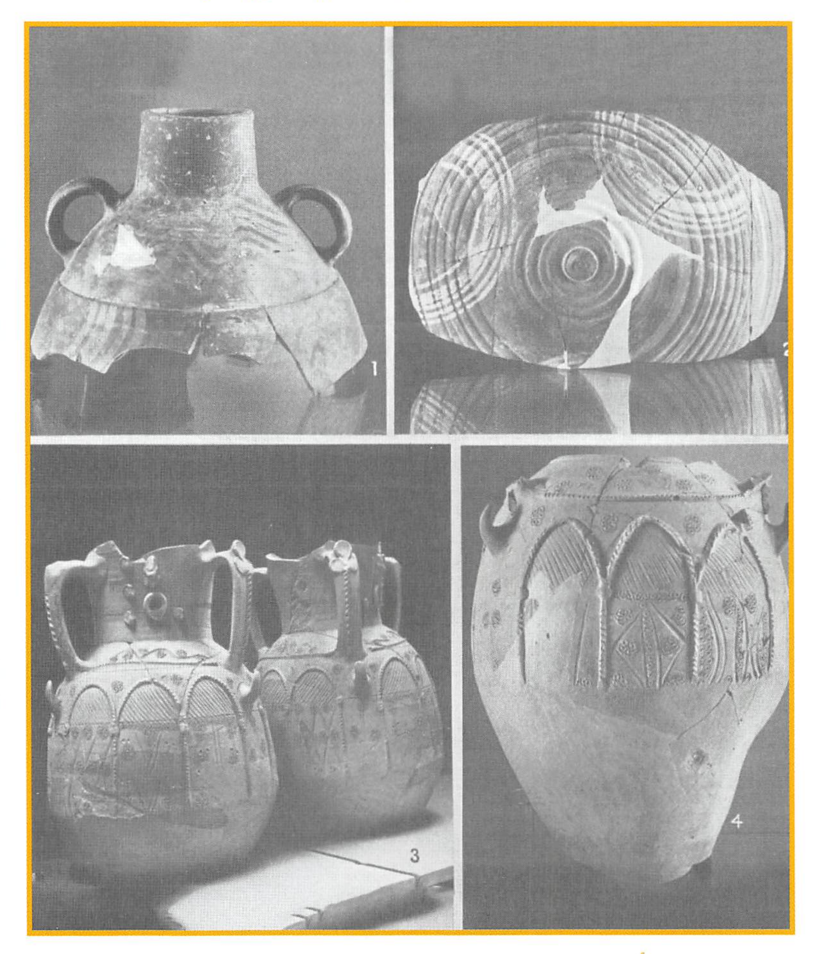
كشفت تنقيبات خربة المفجر عن مجموعة كبيرة من الأواني والكِسر الفخارية، وقد نُشرت التقارير الأولية حول الفخار في حولية الآثار الفلسطينية وفي رسالة الدكتوراه للسيد برامكي سنة 1953، وقد ميّز برامكي نحو 23 نوعاً من الفخار تمتد بتاريخها من القرن الثامن الميلادي وحتى القرن الثالث عشر (Baramki 1953). وأعاد د. دونالد ويتكومب (Whitcomb 1986) دراسة فخار خربة المفجر سنة 1986 على ضوء التقارير المنشورة، (شكل 158) وقام بتقسيمها إلى أربعة فترات رئيسية (الأشكال 159-163)، وهي الفترة الأموية، الممتدة من تاريخ بناء القصر، 700 ميلادية تقريباً وحتى الزلزال الذي ضرب الموقع سنة 749/748 ميلادية، وهي فخار أموي خالص يمتاز بأشكاله وزخارفه المميزة، والفترة العباسية المبكّرة، 750-850 ميلادية، وتمثل مرحلة إعادة استخدام بعض الأجزاء غير المتهدمة في القصر، بعد فترة من هجر الموقع إثر الزلزال الذي ضربه، والفترة العباسية المتأخرة، وتعود بتاريخها إلى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (850-950 ميلادية)، والفترة الأيوبية ما بين 1200-1300 ميلادية، التي تمثل مرحلة إعادة استخدام مؤقت للموقع.



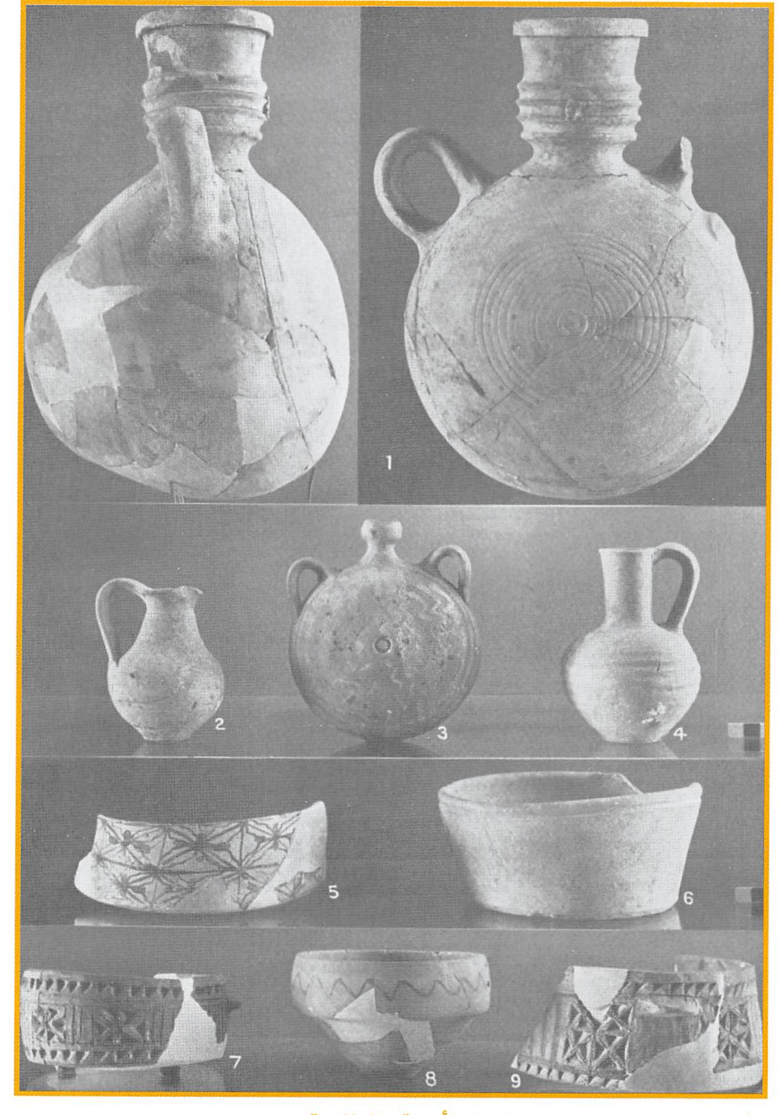
شكل 160: آنية فخارية ملونة



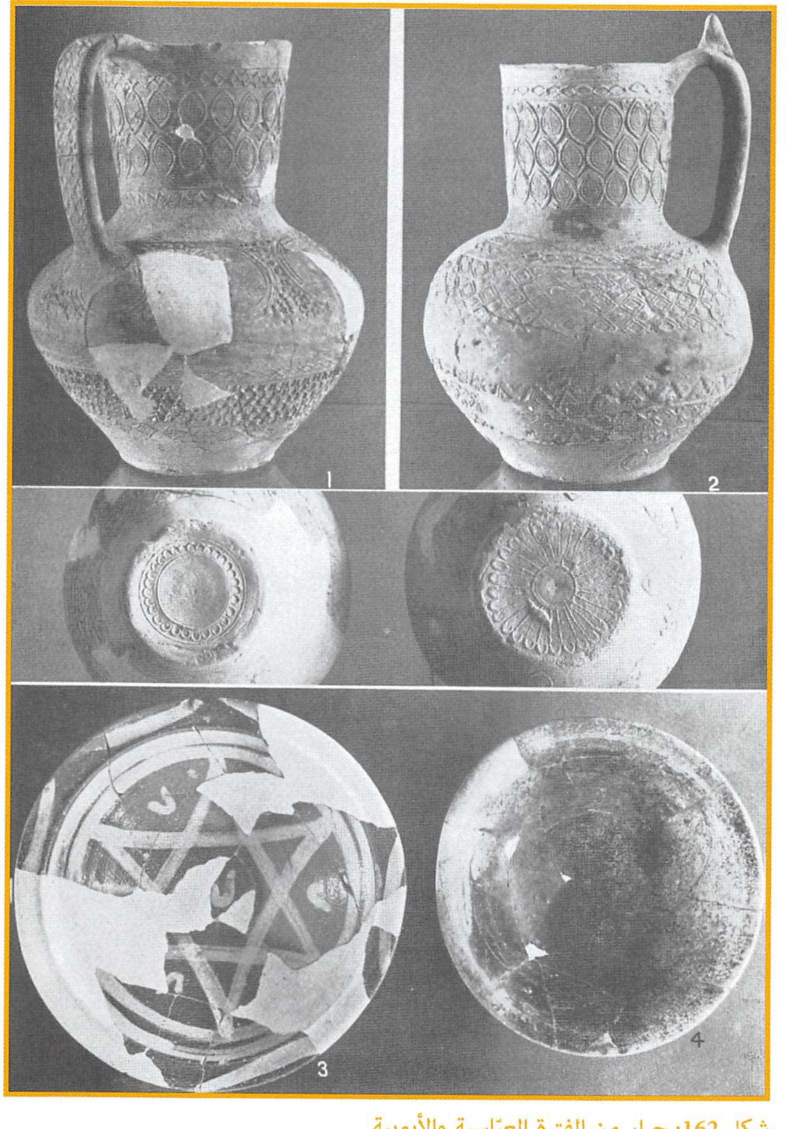
شكل 158: أشكال فخّارية من فترات مختلفة



شكل 159: جرار أموية ملونة وعبّاسية مزخرفة



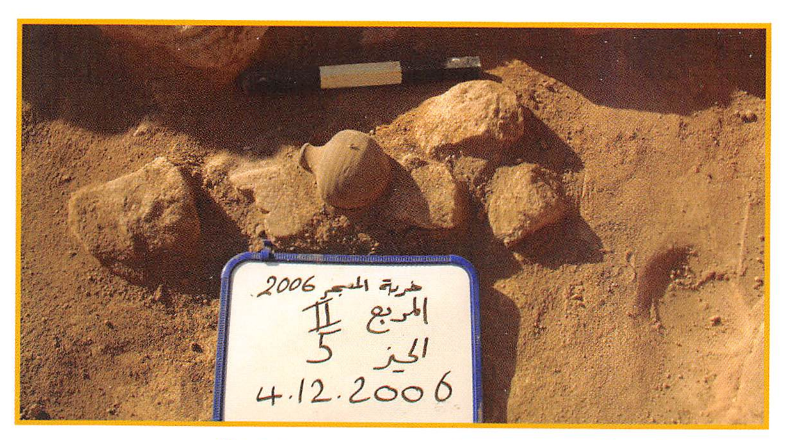
شكل 161: جرار صغيرة من الفترة الأموية والعبّاسية



شكل 162: جرار من الفترة العبّاسية والأيوبية

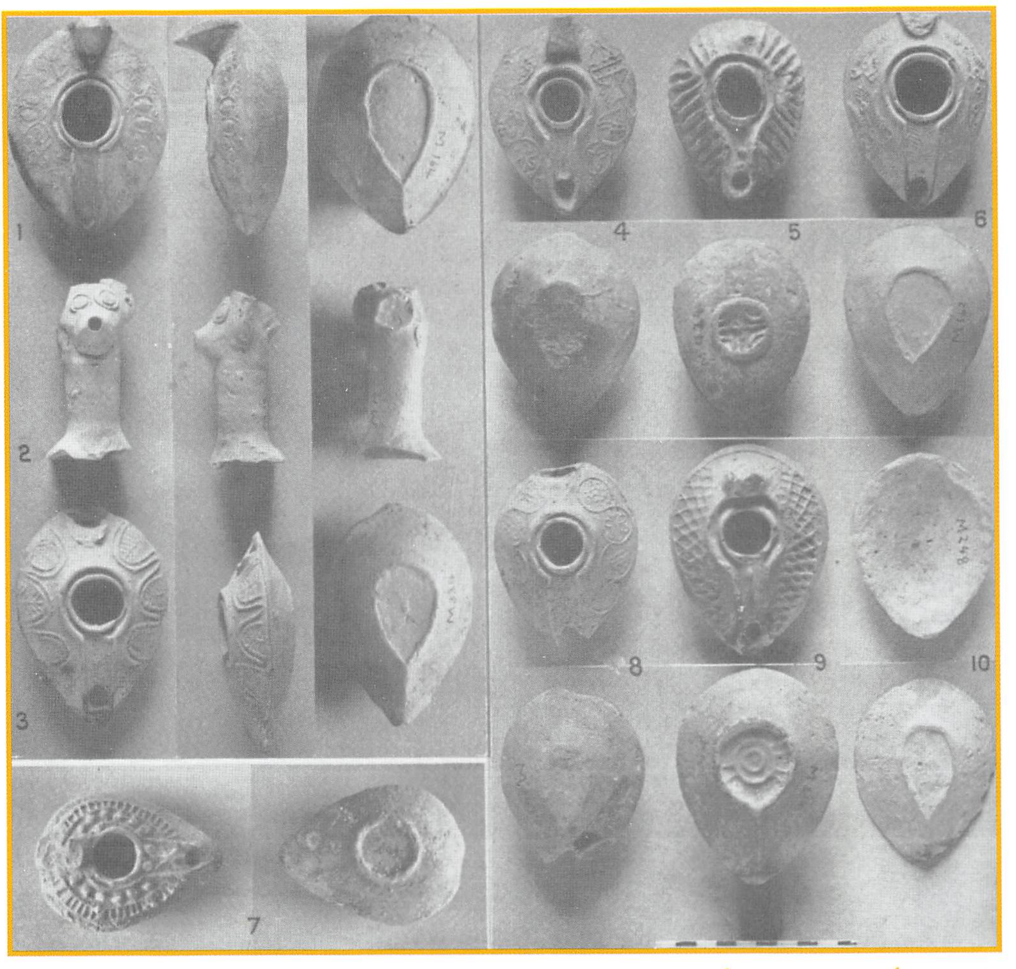
جرى تصنيع فخار خربة المفجر بأساليب مختلفة أهمها صناعة الدولاب والصّب والتحزيز والرسم والتزجيج. وتضم الأواني الفخارية أنواع الفخار المنزلي العادي المستخدَم في الحياة اليومية كالجرار المزخرفة، والقوارير بأحجام مختلفة والشربات والأكواب والصحون والأطباق وقدور الطبخ والأسرجة. وأنواع الفخار تتراوح ما بين الأواني الملونة من الفترة الأموية، والتي تمثل استمراراً لتقاليد الفخار البيزنطي، والأواني العباسية المُقولبة، وتحمل زخارف محفورة ومصقولة، والفخار الأيوبي المزجّج من القرن الثالث عشر.

في التنقيبات التي جرت سنة 2006 عُثر على آنية مخروطية الشكل (شكل 163)، وهي من الفخار العادي وجسم محزّز، وذات فوهة ضيقة ورقبة قصيرة وقاعدة



شكل 163: آنية فخّارية صغيرة خاصّة بالإشعال في منطقة الأتّون

حلقية. وتحمل آثار حرق على جسمها، ويبدو أن هذه الآنية التي عُثر عليها في منطقة الأتون وتخزين مواد الوقود، كانت تُستخدم لإشعال النار باستخدام بعض المواد النفطية، وقد ظهرت هذه الآنية في السياقات الأموية، وعُثر على آنية شبيهة بها في بيسان تحتفظ ببقايا الزئبق في أحد مشاغل الحدادة تحت مستوى الدمار الذي أحدثه الزلزال الذي ضرب الموقع سنة 749م. وهناك نماذج مزجّجة من هذا النوع وُجدت في العصور الوسطى من الفترة الأيوبية (Taha 2011: 296, Fig. 10).



شكل 164: أسرجة من الفترة الأموية والعباسية

الأسرجة

كما تم الكشف عن مجموعة كبيرة من الأسرجة الفخارية في خربة المفجر (شكل 164)، وقد اكتسبت أهمية خاصة في تاريخ البحث الأثري، وأصبحت تُعرف بأسرجة المفجر. وقد ميز برامكي ما بين أربعة أنواع من الأسرجة على النحو التالي:

- **المجموعة الأولى:** وهي الأسرجة المزينة بزخارف هندسية نافرة، وتتميز بمجرى يمتد من فتحة الزيت وحتى فتحة الشعلة، وهي ذات قاعدة حلقية ومقبض حلقي أو مخروطي الشكل.
- **المجموعة الثانية:** وهي تشبه المجموعة الأولى من ناحية الزخارف، ولكن زخارفها أكثر ضحالة من المجموعة الأولى.
- **المجموعة الثالثة:** وهذه المجموعة مزينة بزخارف نباتية، وخصوصاً قطوف العنب، وهي ذات قاعدة مستوية.
- **المجموعة الرابعة:** وهذه المجموعة شبيهة بالمجموعة الثالثة، ولكن أسرجتها أكثر طولاً، وزخارفها النباتية كالورود والرمان والنجمة الخماسية أكثر تشكيليةً وأقل واقعيةً من المجموعة الثالثة.



شكل 165: سراج من الفترة الأموية

وفي المنطقة الجنوبية المحاذية للحمّام، تم الكشف سنة 2006 عن سراج ذي شكل لوزي (شكل 165) وقاعدة مستوية، ولونه ضارب إلى الحُمرة، ويحمل زخارف نباتية مُنمذَجة (Taha 2011: 295: Fig. 10).

الزجاج

لم تُشر تقارير التنقيبات الأولى إلى الزجاج في الموقع، ولكن كِسراً من الزجاج الأزرق وُجدت في الزخارف الجصّية لشبابيك القصر، ولا بد أن هذه الألواح الزجاجية المستوية قد صُنعت بطريقة القالب. كما تم الكشف في التنقيبات التي جرت سنة 2006 و 2010-2014 عن الكثير من كِسر الأواني الزجاجية، بألوان مختلفة، وهي عموماً أوانٍ مصنعة بطريقة النفخ، من بينها عنق آنية ذات لون ضارب للخضرة ومقبض بني (شكل 166) معروضة في متحف قصر هشام.



شكل 166: آنية زجاجية

العملات النقدية

لم تُشر تقارير التنقيبات الأولى إلى اكتشاف أية عملات نقدية في الموقع. وفي التنقيبات التي جرت سنة 2006 و 2010-2015 عُثر على عدد من العملات النقدية من الفترتين الأموية والعباسية. وفي المنطقة الشمالية الملاصقة للحمّام عُثر سنة 2006 على قطعتين نقديتين (شكل 167)، وهما درهم فضي وفلس من معدن الرصاص (Taha 2011: 296)، كما تم العثور على قطعة نقد برونزية من الفترة البيزنطية وعدد من الفلوس النحاسية الأموية في التنقيبات التي جرت ما بين 2010-2014، وهي معروضة في متحف قصر هشام (شكل 168). ويعود الدرهم الفضي إلى مرحلة ما بعد الإصلاح النقدي، والدرهم من ضرب مدينة دمشق سنة 86 هجرية (705 ميلادية)، ويصادف السنة الأخيرة من حكم الخليفة عبد الملك بن مروان والسنة الأولى من حكم الوليد بن عبد الملك:



شكل 167: درهم أموي وفلس رصاصي



شكل 168: قطعة نقد بيزنطية و فلوس نحاسية أموية

الوجه

الوسط: لا اله الا الله وحده لا شريك له

المدار: بسم الله ضرب هذا الدرهم بدمشق سنة ست وثمنين

الظهر

الوسط: الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد

المدار: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

لُقى صغيرة

أظهرت التنقيبات الجديدة التي جرت سنة 2006، واستمرت ما بين 2010-2015، كمّاً كبيراً من اللقى الصغيرة في الموقع (Taha 2011, Taha and Whitcomb 2013). وإلى جانب الأواني الفخارية والأسرجة والقارورة الخاصة بالإشعال (شكل 169)، فقد تم الكشف عن عملات نقدية من الفترة الأموية والعباسية، والمواد المعدنية (شكل 170) التي تعود إلى البوابة الشمالية ومسامير وكِسر من حُطام أوانٍ زجاجية وبقايا عظام حيوانية وموادَّ عضوية محروقة مثل الأنوية والبذور وأطباق القش.

www.jerichomafjarproject.org.artifacts



شكل 169: آنية فخّارية صغيرة (خاصّة بالإشعال)



شكل 170: لقلى معدنية صغيرة

الفصل السادس: إدارة الموقع الأثري

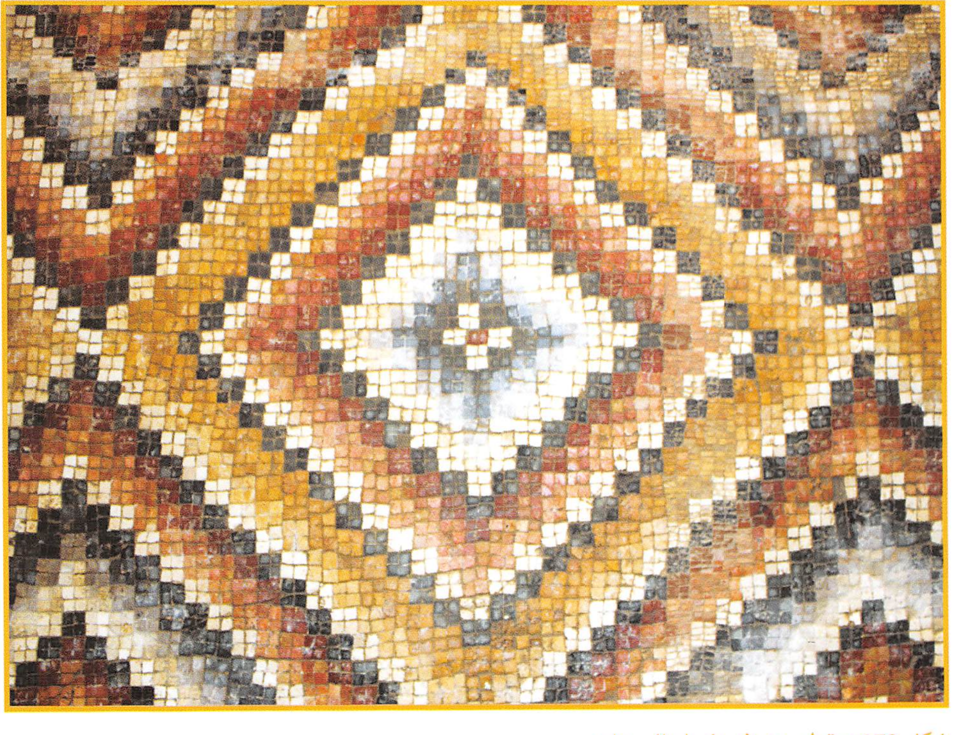

شكل 171: صورة ليلية للبوابة

شهد قصر هشام منذ تأسيس دائرة الآثار الفلسطينية كجزء من وزارة السياحة والآثار سنة 1994 واحداً من المشاريع النموذجية في فلسطين، جمع ما بين أهداف البحث العلمي والتنقيب والترميم والتأهيل (شكل 171). وتحول الموقع إلى مدرسة ميدانية للعمل الأثري والتدريب وبناء القدرات وساحة للتعاون المحلي والدولي. وقد أتيت في مقدمة هذا الكتاب على الجهد التراكمي المبذول على مدار 150 عاماً من العمل المتواصل من قبل العديد من المؤسسات والأفراد في الكشف عن هذا الموقع وتطويره. ومنذ سنة 1994 جرى العمل على تطوير حديقة قصر هشام الأثرية (Taha 2005) واهتدت خطة التطوير في الموقع، التي وضعت بالتعاون مع اليونسكو إلى منهجية الإدارة المتكاملة للموقع، وهدفت بالدرجة الأولى إلى الحفاظ على تراث الموقع من عوامل التلف والاندثار، وإدماجه ضمن خطط التنمية الثقافية والسياحية، بما يمكّن من الحفاظ على هذا المورد، وما يتطلبه ذلك من جعل هذا التراث متيسراً للزائر، من خلال توفير البنية السياحية التحتية، كالطرقات ومواقف الحافلات والمرافق الضرورية كالحمّامات، وشرح الموقع وعرضه من خلال توفير الإشارات الدالّة والمسارات ولوحات الشرح والنشرات التعريفية، والمواد التعليمية والأفلام، والمختبرات ومتحف الموقع. وقد تحول الموقع الذي كان مهملاً في فترة الإدارة الإسرائيلية، والذي لم يتجاوز عدد زواره بضعة مئات في السنة إلى واحد من أهم المقاصد السياحية في فلسطين، ويقدّر عدد زواره بحوالي مئة ألف زائر سنوياً. وتأكيداً على الأهمية الأثرية للموقع والقِيَم المتميزة التي يمثلها، فقد وُضع هذا القصر الأموي سنة 2005 ضمن اللائحة التمهيدية الفلسطينية للتراث العالمي (Taha 2009)، ويحمل الموقع مقومات إدراجه مستقبلاً على لائحة التراث العالمي لليونسكو.

تطوير الحديقة الأثرية

بعد الكشف عن آثار قصر هشام في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، جرت سلسلة من عمليات الترميم في موقع قصر هشام الأثري في أريحا (QH 92 :1999 CSD ,1999 ;1998 Taha ,1999 Piccirillo ,2000)، كان أبرزها الترميمات التي جرت في السرداب والحمّام الكبير في فترة الإدارة الأردنية التي سبقت الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية سنة 1967. وخلال هذه الفترة تم إنشاء سقفين لحماية أرضية فسيفساء الديوان في مجمّع الحمّامات الكبير، والمنحوتات الحجرية على باب القصر، هذا إلى جانب إعادة بناء جزئية لسور القصر الخارجي. كما جرت إعادة بناء القواعد الست عشرة لقاعة الحمّام باستخدام الحجارة والإسمنت، بهدف وضع سقف للبناء وعرض الفسيفساء فيه. كما تم رفع أرضية الفسيفساء في السرداب وترميمها وإعادتها إلى مكانها على أرضية إسمنتية، وقد لوحظ بأن عملية إعادة بعض القطع إلى مكانها لم تكن موفقة تماماً. وفي فترة الاحتلال الإسرائيلي ما بين 1967-1994 تعرض الموقع للإهمال

الشديد، كما أدت سياسة التهاون إلى الكشف عن مساحات من أرضية الفسيفساء (5×5 متر) في منطقة الحمّام إلى تردي حالة الفسيفساء وتآكلها نتيجة تركها دون حماية، كما أن «الدرابزين» الحجري للحمّام الصغير، السرداب، قد ترك عرضةً للدمار، وأُهمل متحف الموقع الصغير، وتُرك دون حماية.



شكل 172: مقطع من فسيفساء السرداب

وبعد نقل السلطات إلى الجانب الفلسطيني سنة 1994، وإحياء دائرة الآثار العامة في وزارة السياحة والآثار، شرعت دائرة الآثار الجديدة في التصدي للمهمات المباشرة، بما في ذلك حماية المواقع الأثرية. وقد تأسس مشروع مشترك لتأهيل موقع قصر هشام (QH 2000) بالتعاون ما بين دائرة الآثار الفلسطينية واليونسكو ومعهد الآثار الفرنسيسكاني في القدس ومؤسسة التعاون الدولية الإيطالية (جنوب-جنوب) بدعم مالي من الحكومة الإيطالية واليونسكو (Taha 2005). وجرى العمل على مرحلتين، المرحلة الأولى وتَركّز العمل فيها على ترميم فسيفساء السرداب، ونُفّذ العمل على شكل ورشة تدريبية لفريق من المتدربين من دائرة الآثار الفلسطينية، وذلك تحت إشراف خبراء متمرسين من إيطاليا وتحت الإشراف العلمي للأب ميكيله بيتشرلو والكاتب (Piccirillo 1999).

ويتكون الحمّام الأرضي الصغير، السرداب، من غرفة واحدة ذات عقد برميلي من الحجر (Hamilton 1993: 922)، ويمتد تحت الجناح الغربي للقصر. وفي ساحة القصر هناك درج يفضي إلى السرداب. وتقسم هذه الغرفة إلى قسمين بواسطة جدار منخفض بدرجات من كلا الاتجاهين، وأرضية القسم الأول من الغرفة مرصوفة بالفسيفساء الملونة (شكل 172)، إضافة إلى الدكّتين المتقابلتين من الجهتين الشمالية والجنوبية. وقد أدى الإهمال الطويل وتسرب المياه إلى غمر الغرفة بشكل متكرر في فصول الشتاء، إلى تردي حالة الفسيفساء (QH 2000)، خصوصاً فسيفساء الدكّتين، التي وُجدت في حالة رثة للغاية، وكانت في معظمها مبعثرة والمكعبات خارج مكانها الأصلي. وجرت في منطقة السرداب ترميمات شاملة للفسيفساء. وتم خلع فسيفساء الأرضيات والدكّتين وإعادتها إلى مكانها بعد ترميمها باستخدام تقنيات حديثة. وشملت أعمال الترميم قصارة الأدراج، وإنشاء سلّم معدني لحماية الدرج الحجري المتآكل ثم إعادة بناء «الدرابزين» الحجري (Taha 2005).

وكان الهدف من هذا المشروع تطوير الحديقة الأثرية لقصر هشام على أساس خطة شاملة لإدارة الموقع، وأبرز عناصر هذه الخطة هي:

1. تقييم حالة الحفاظ في الموقع وتوثيقه.
2. تطوير البنية التحتية وتشمل مرافق الخدمات والطرق ومواقف الحافلات.
3. تطوير عرض الموقع والمسارات الداخلية، وتزويدها بالشرح.
4. ترميم عناصر الموقع، خصوصاً الفسيفساء والحجارة والجص.
5. تطوير متحف الموقع.
6. الكشف عن فسيفساء الحمّام وتغطيتها.

في سنة 2008 تم تنفيذ مشروع تطوير شامل في إطار مشروع تأهيل قصر هشام بالتعاون مع مؤسسة «أنيرا» وبتمويل من وكالة التنمية الأمريكية (شكل 173). وقد شملت أعمال التأهيل تطوير البنية التحتية للموقع الأثري (الأشكال 174-177) وتطوير الحديقة الأثرية (الأشكال 178-188) بما يخدم أهداف التنمية السياحية على الوجه التالي:

1. المسوحات والفحص الجيوفيزيائي وتشمل المسوحات العامة وجمع الصور الجوية والمسح الفوتوغرافي وفحص التربة ومواد البناء في القصر.

2. عرض الموقع: ويشمل تنظيف الموقع، وتطوير مدخله، والتنسيق الحدائقي وتطوير المسارات الداخلية ووضع اللوحات الإرشادية والتعريفية والشرح.

3. الأعمال الإنشائية: وتشمل إعادة تأهيل غرفة الاستقبال وتأهيل قاعة التفسير وتأهيل المتاحف وإنشاء وحدة حمّامات جديدة بدلاً من وحدة الحمّامات القديمة الموجودة عند مدخل الموقع وإنشاء بعض المرافق السياحية الضرورية.

4. تطوير البنية التحتية: ويشمل تأهيل الطريق إلى الموقع بطول 700 متر وإنشاء جسر جديد يقطع وادي النويعمة مُستلهم من الجسور الأموية، بدلاً من العبّارة القديمة التي كانت تشكل خطراً على المارة في فصل الشتاء، ثم إنشاء مواقف للحافلات والسيارات.

وقد استُكملت أعمال تطوير الحديقة الأثرية في الفترة ما بين 2010-2014، في إطار



شكل 173: إفتتاح مشروع تأهيل قصر هشام، 2008



شكل 174: مخطط الجسر



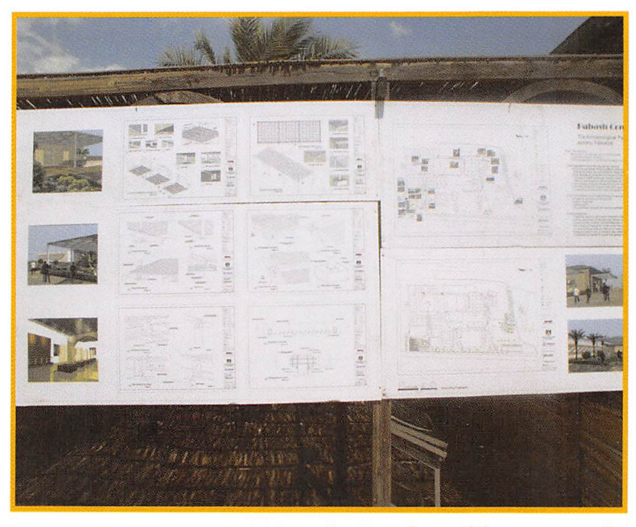
شكل 175: موقع الجسر البناء





شكل 176: الجسر بعد البناء

شكل 177: موقف الحافلات الخاص بالموقع



شكل 178: مخططات تطوير الموقع، 2008



شكل 179: مدخل الموقع من الخارج قبل التأهيل، 2008



شكل 180: مدخل الموقع من الخارج بعد التأهيل، 2008

شكل 181: قاعة مركز التفسير



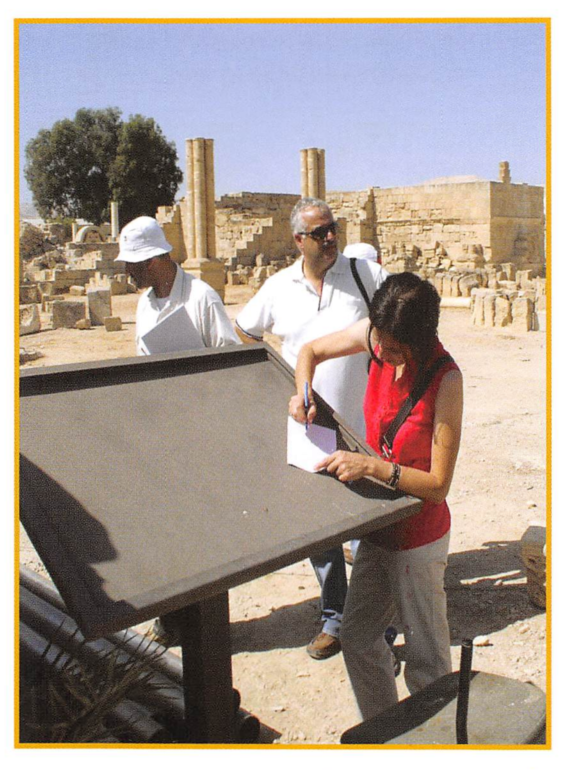
شكل 182: ترميم مبنى المتحف



شكل 183: وحدة الحمامات على يمين المدخل قبل النقل

شكل 184: وحدة الحمامات الجديدة شرق المدخل

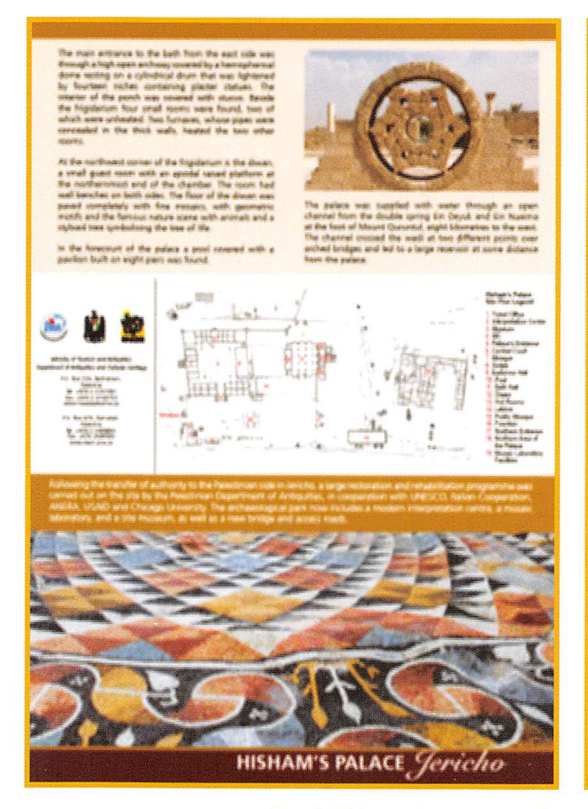
شكل 185: الممرات الخشبية قبل التأهيل



شكل 187: فريق العمل في الموقع



شكل 186: الممرات بعد التأهيل



شكل 188: نشرة تعريفية بالموقع

شكل 189: لوحة شرح

مشروع خربة المفجر المشترك بالتعاون ما بين دائرة الآثار الفلسطينية ومعهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو، ومشروع «منافسة» الممول من قبل وكالة التنمية الأميركية، ومشاركة متحف جامعة شيكاغو ومؤسسة الناشر ومكتب مدماك، وشملت تحديث خطة مسارات الموقع السياحية، وتزويدها باللوحات الإرشادية باستخدام مادة السيراميك (شكل 189) وإعادة تنظيم العرض في متحف الموقع. وتضمن العمل استكمال تطوير المنطقة الشمالية وإدماجها ضمن الحديقة الأثرية (شكل 190)، وتزويدها باللوحات الإرشادية والممرات الخشبية المرفوعة، وتشمل معصرةَ العنب والمسجد والبيت العباسي والاسطبلات. وقد أمكن مضاعفة مساحة حديقة قصر هشام الأثرية، وتعزيز فهم شامل لتاريخ الموقع، من خلال إظهار السياق الحضاري العباسي في المنطقة الشمالية لأول مرة إلى جانب السياق الحضاري الأموي.



شكل 190: الممرات في المنطقة الشمالية

مختبر الفسيفساء في القصر

كان للتجربة الناجحة في ترميم السرداب سنة 1997، والتي نُظمت على شكل ورشة تدريبية، بالتعاون مع اليونسكو أن تحفز لبدء مرحلة ثانية تشمل جميع مرافق القصر. (QH 2000, Piccirillo 1999: 115- 123, CSD 1999: 92) وتضم المرحلة الثانية من المشروع الذي انطلق سنة 1999 بناء مختبر للفسيفساء القديمة في محيط القصر (الأشكال 191-195). وكان الهدف الرئيسي من إنشاء هذا المختبر هو ترميم أرضيات الفسيفساء في قاعات الحمّام، إلى جانب الحفاظ على هذه الفسيفساء وإبرازها في مكانها الأصلي، ثم الاستجابة إلى المهمات بعيدة المدى، وهي الحفاظ على الفسيفساء على المستوى الوطني في فلسطين. ومن الأهداف الرئيسية الأولى لهذا المشروع هو تدريب كادر متخصص في جميع جوانب إنتاج الفسيفساء. أما الهدف الرئيسي الثاني فهو خلق مهارات محلية لترميم الفسيفساء القديمة، ثم تدريب حِرفيين بارعين في إنتاج نماذج الفسيفساء ونسخها للسوق المحلية والسياحية. وقد تأسست ورشة ترميم الفسيفساء في إطار مشروع تأهيل قصر هشام كحديقة أثرية (JW 2002, Taha 2005, 2008)، بطاقم فلسطيني إيطالي، بدعم مالي من التعاون الإيطالي عبر مؤسسة سيس غير الحكومية الإيطالية، تحت إشراف د. ميكيلة بتشرلو و د.حمدان طه وبمشاركة المدرب فرانكو سيكوريلي و م. محمد ذياب منسقاً ميدانياً و م. أسامة حمدان مديراً للورشة، ومشاركة طاقم من المدربين من دائرة الآثار والجامعات المحلية. وتتكون بناية المختبر من ست غرف وقاعات موزعة على مبنى الإدارة ومساكن للطلبة بطاقة عشرة إلى



شكل 191: صورة عامة لمختبر الفسيفساء في الموقع

شكل 192: السيد إياد حمدان يفتتح ورشة تدريبية في الفسيفساء

شكل 193: ورشة تدريبية في الفسيفساء



شكل 194: رشّ مكعبات الفسيفساء



شكل 195: صيانة فسيفساء قاعة الاستقبال في الحمّام

خمسة عشر متدرباً، ومطبخ ومختبر للتدريب، بالإضافة إلى مناطق التدريب المكشوفة للتدريب الميداني. وقد حمل المتدربون هذه التجربة إلى مؤسسات مختلفة، وشجعت على قيام وُرش خاصة للتدريب وإنتاج الفسيفساء كصناعة سياحية في فلسطين.

كان برنامج الدورة المكثف يرمي إلى الإسهام في قطاع التعليم المهني الفلسطيني على شكل ورشة تدريبية، وقد بدأ برنامج التدريس لمدة سنتين في شهر فبراير 2000. ووقع الاختيار على سبعة من الطلاب للدراسة في هذا البرنامج (JW 2002). وفي شهر آذار 2002 تم إنهاء البرنامج الدراسي بنجاح، وذلك بالرغم من الظروف السياسية الصعبة في فلسطين. وعلى أية حال، فقد اعتمد اختيار المرشحين على اعتبارات العمر والشهادة العلمية والتوزيع الجغرافي والمهارات الفردية، وتكوّن برنامج الورشة من ثلاثة أقسام نظرية وعملية وبرنامج زيارات ميدانية، وشمل القسم النظري موادَّ في التاريخ والآثار والعمارة والجغرافيا التاريخية والكيمياء، ودروساً في التصميم والرسم، ومقدماتٍ في نظريات الترميم وأساليب التدخل والتشريعات ومناهج التوثيق وإدارة المواقع الأثرية. وشمل التدريب الميداني في المواقع والذي يشكل 70% من البرنامج دراسة المواد واستخدام الأدوات والمواد وتقنيات التنظيف والصيانة والحَقن، وقطع المكعبات الفسيفسائية، وإعادة تصنيع الفسيفساء. كما تم تنظيم برنامج للجولات الميدانية شملت زيارة المواقع الأثرية في فلسطين والدول المجاورة.

تمكن المختبر من تنفيذ سلسلة من عمليات الترميم في فلسطين (JW 2002, Taha 2005, 2008)، شملت ترميم فسيفساء قاعة الاستقبال في الحمّام والفسيفساء البيضاء في مراحيض القصر، وفسيفساء كنيسة النوتردام في القدس، وأرضية فسيفساء في كنيسة القيامة في القدس، وكنيسة القديس جورج في خربة المخيط في الأردن، ونقش خربة النتله في أريحا، وفسيفساء دير أبو غنام، وفسيفساء دير بير الحمام في جبل جرزيم في نابلس، وفسيفساء مبنى مركز السلام في ساحة المهد في بيت لحم، وفسيفساء مسجد يانون، وفسيفساء جدارية في الحرم الإبراهيمي في الخليل. كما قامت الورشة بتنظيم عدد من المعارض المتنقلة في مدن بيت لحم والقدس ورا م الله. وقد تحول المختبر في السنوات العشر الماضية إلى مدرسة ميدانية للآثار في أريحا، وتم تجهيزه بالعديد من الأجهزة الخاصة بفحص المواد العضوية. ويقوم المختبر بتنظيم برامج تدريب على أعمال إنتاج الفسيفساء، ويستضيف بشكل دوري طواقم التنقيب والترميم، ويخدم كمدرسة ميدانية للعمل الأثري في منطقة أريحا.

ترميم الحجر

في إطار جهود صيانة الموقع، فقد جرت سلسلة من الأنشطة الموجّهة للحفاظ على آثار الموقع، وخصوصاً مادتي الحجر والمِلاط. يمتاز حجر قصر هشام بكونه من فئة الحجر الرملي الطري، وهو ما أعطاه ميزة سهولة القطع والتشكيل من ناحية إيجابية، ولكن من الناحية الأُخرى هو ضعف قدرة هذا النوع من الحجارة في الصمود في وجه العوامل الجوية وعوامل التعرية بشكل خاص، وذلك لضعف روابطه. وأكثر المناطق التي تتعرض للتلف هي المناطق التي تكون عادةً في مهبّ ومجرى الرياح. وفي حالة حفظ الحجر تبيّن أن الجدار الشرقي على يمين المدخل الرئيسي لساحة القصر ومدخل القصر كانت أكثر الأماكن عُرضةً لتفتت الحجر، خصوصاً الأجزاء السفلية بالدرجة الأولى، تليها الأجزاء العليا من الجدران.

قامت دائرة الآثار بالتعاون مع اليونسكو بتنظيم ورشة تدريبية حول تقنيات ترميم الحجر (الأشكال 196-199) في قصر هشام بمشاركة خبراء من اليونسكو وبالتعاون مع مختبر أريحا في سنة 2005. بعد إجراء تقييم لحالة الحجر المتردية في الموقع نتيجة العوامل الطبيعية والبشرية، جرى اختيار مقطع من الجدار الشرقي على يمين المدخل الرئيسي للقصر، وذلك لخلوّه من الزخارف. وتضمنت عناصر خطة الترميم دراسةَ الوضع القائم وتوثيقاً بيانياً وصورياً للجزء المراد ترميمُه وتقدير مراحل التدخل



شكل 196: خبراء ترميم الحجر أثناء العمل



شكل 197: جانب من عمليات الترميم





شكل 198: تقنية حقن الجدران



شكل 199: تقنية استبدال الحجر

وطرق التدخل والعينات المقترحة لكل حالة. وبعد التدريب على تقنيات الترميم المختلفة، وتشمل الاستبدال، والترميم الموضعي، والنسخ، واستنساخ طبعات الحجر الأصلية، والحجر الصناعي، بدأ العمل على ترميم حجارة الموقع المتآكلة في أماكن مختلفة في القصر (الأشكال 200-205). وتركز العمل في مدخل القصر والجدران المطلة على ساحة الموقع المركزية، والحوض المزخرف وبركة السباحة في الحمّام، ومقاطع من السور الخارجي للقصر. كما جرى العمل على تثبيت قصارة الجدران والأرضيات في الحوض المزخرف وبركة السباحة في القصر.



شكل 200: مدخل القصر قبل عملية الترميم



شكل 201: مدخل القصر أثناء عملية الترميم



شكل 202: خبراء أثناء ترميم السور الخارجي للقصر



شكل 203: السور الخارجي للقصر بعد الترميم



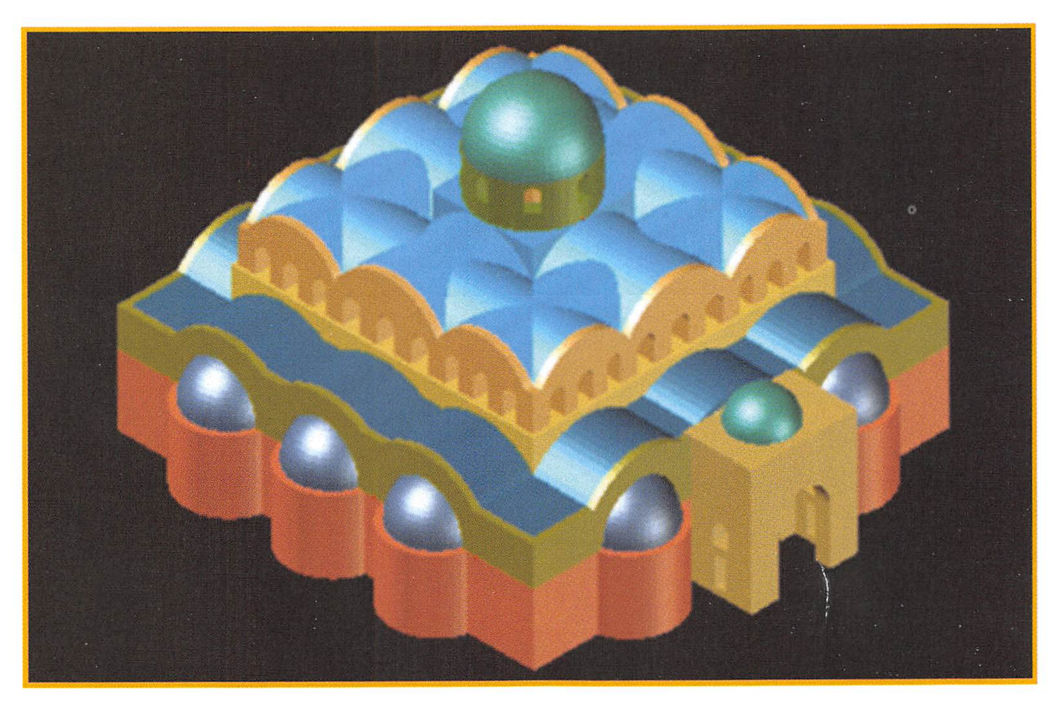
شكل 204: ترميم مِلاط الحوض المزخرف



شكل 205: بركة السباحة بعد الترميم

تغطية فسيفساء قاعة الاستقبال في الحمّام

بدأ العمل على فكرة إبراز فسيفساء قصر هشام في مرحلة مبكرة في إطار التعاون مع اليونسكو ومعهد الآثار الفرنسيسكاني، وقد انتدبت اليونسكو فريقاً من جامعة فلورنسا لتطوير تصميم تغطية فسيفساء قاعة الحمّام، والتي تضم مساحة 850 متراً مربعاً من الفسيفساء. وتأكيداً على مبدأ المشاركة نظمت دائرة الآثار الفلسطينية بالتعاون مع اليونسكو ندوة علمية في أريحا في أواخر شهر ديسمبر 2003 لتقييم الخطة. وقد أوصت الورشة التي شارك فيها خبراء محليون ودوليون بإجراء تعديلات جوهرية على الخطة المقترحة، وطُرح مشروع تغطية الحمّام الكبير للمنافسة، وتم تنظيم مسابقة محلية لتغطية فسيفساء الحمّام سنة 2005، وفاز مكتب حبش الاستشاري في المسابقة للعمل مع مكتب المعماري السويسري بيتر زُمتر، الذي اختير كمستشار دولي للمشروع من قبل اليونسكو (الأشكال 206-209). كما شارك المهندس عمار خماش في العمل على تطوير التصميم في إطار مشروع تأهيل قصر هشام بالتعاون مع مؤسسة «أنيرا» سنة 2006، وفي سنة 2010 تجدد العمل على المشروع من قبل مكتب بيتر زُمتر ومكتب حبش الاستشاري بالتعاون مع اليونسكو وتم وضع تصميم أولي للتغطية، تبين أنه شديد الكلفة. ومنذ سنة 2014 تعمل دائرة الآثار الفلسطينية بالتعاون مع فريق ياباني من مؤسسة التعاون الدولي اليابانى (جايكا) على تطوير تصميم تغطية الفسيفساء، الذي يُنتظر أن يُستكمل سنة 2018 حسب الخطة الموضوعة.



شكل 206: تصميم ثلاثي الأبعاد لقاعة الاستقبال (من عمل مكتب حبش الاستشاري) حسب الرسم التخيّلي لهاملتون



شكل 207: نموذج تغطية الفسيفساء من تصميم بيتر زُمتر وتنفيذ مكتب حبش الاستشاري



شكل 208: منظر من داخل نموذج تغطية الفسيفساء



شكل 209: المعماري بيتر زُمتر أثناء نقاش المشروع مع الفريق

المتحف

يقع متحف قصر هشام عند مدخل الموقع الجنوبي، في نطاق منطقة الاستقبال والتي تضم غرفة التذاكر وقاعة التفسير. ورغم أن بدايات فكرة متحف الموقع تعود إلى عقد الستينيات من القرن الماضي، وعُرضت فيه بعض المواد الأثرية المكتشفة أثناء التنقيبات التي جرت في الموقع، وخصوصاً الأواني الفخارية وبعض قطع الجص، إلا أن هذا المعرض تُرك دونما عناية في فترة الإدارة الإسرائيلية المباشرة للموقع، ليتحول إلى قاعة أشبه بمخزن للمواد الأثرية. وهنا لا بد من التنويه بأن معظم المواد الأثرية المستخرجة من تنقيبات قصر هشام في الفترة ما بين 1934-1948 معروضة في جناح كامل في متحف الآثار الفلسطيني في القدس (شكل 210). وفي إطار خطة تطوير الموقع جرى العمل على تطوير المتحف، وبدأ العمل على إعادة ترتيب العرض وإجراء جرد بمحتويات المتحف



شكل 210: جناح عرض آثار خربة المفجر في المتحف الفلسطيني في القدس

وتقييم حالة حفظ المواد، وفي سنة 2002، تم العثور على مجموعة كبيرة من المواد الأثرية مخزنة في إحدى غرف القصر، وتضم مجموعة من قطع الجص والأدوات الحجرية. وضمن مشروع تأهيل قصر هشام بالتعاون مع مؤسسة «أنيرا» جرى تأهيل مبنى المتحف سنة 2008، شمل تنظيم عرض مؤقت للمواد الأثرية (شكل 211)، وفي سنة 2013-2014 أُدرج المتحف ضمن خطة المشروع الفلسطيني-الأميركي المشترك بالتعاون مع جامعة شيكاغو، ومع مشروع «منافسة» المموَّل من قبل وكالة التنمية الأميركية. وجرت إعادة تنظيم شاملة للعرض المتحفي.



شكل 211: قاعة العرض المؤقت في متحف الموقع

شكل 212: قاعة العرض الدائم في متحف القصر، 2014

ويعرض المتحف الحالي (الأشكال 212-213) تاريخ وآثار خربة المفجّر، ويضم العرض حوالي 150 قطعة أثرية، ومعظم المواد الأثرية المعروضة جاءت من تنقيبات ديمتري برامكي وروبرت هاملتون ما بين 1934-1948، وتم إغناء العرض بمكتشفات من التنقيبات التي جرت سنة 2006 و2010-2014 تحت إشراف د حمدان طه و د. دونالد ويتكومب، لحساب دائرة الآثار الفلسطينية ومعهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو، والتي كشفت عن البوابة الشمالية للقصر، وبناءٍ مُسوّر من الفترة الأموية في المنطقة الشمالية، كان عبارة عن ضيعة زراعية في الفترتين الأموية والعباسية.



شكل 213: خزانة عرض في المتحف



شكل 214: محراب حجري مزخرف

كما ويعرض المتحف المواد الأثرية، وبعض العناصر المعمارية (شكل 214) وقطعاً من الجص، ليقدم للزائر دائرةً من المعلومات حول التاريخ الغني للموقع، والجوانب المختلفة للحياة اليومية في القصر الأموي والضيعة الزراعية المجاورة. ألى جانب ذلك يضم المتحف عدداً من لوحات الشرح التي تغطي العديد من المواضيع المتعلقة بالموقع وتاريخه. وتشمل الموادُّ الحضارية المعروضة الفخارَ والزجاج والعملات وموادَّ أُخرى تتعلق بعمارة القصر والتقاليد المرتبطة به. وهناك لوحة مخصصة لمنقب الموقع د. ديمتري برامكي ودوره في التنقيب عن قصر هشام ما بين 1934 و 1948، كما تم عرض لوحات شرح إضافية، على امتداد مسارات الزوار في الموقع، لتعزيز فهم الزائر للموقع، وتشمل المنطقة الشمالية التي تم إدماجها ضمن خطة الحديقة الأثرية. ويقدم المتحف أيضاً فيلماً قصيراً حول تاريخ الموقع، من فترة تأسيسه حتى لحظة دماره، ويلقي الضوء على التنقيبات القديمة والجديدة، كما يقدم تجسيداً للقصر وبعض المناظر الاستثنائية للفسيفساء في قاعة الاستقبال المغطى حالياً بطبقة من مادة جيوتكس والرمل. ويقدم المتحف إلى جانب الفيلم المعروض في مركز التفسير ولوحات الشرح والنشرة التعريفية قصةَ هذا الموقع الأثري (الأشكال 215-216) الذي بدأ ينبض بالحياة من جديد.

شكل 215: عرض مسرحي في ساحات القصر

شكل 216: طلاب في زيارة مدرسية للموقع

المصــادر

المصــادر العربية

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (279 هـ/892 م)، فتوح البلدان، مصر، 1959.

الريحاوي، عبد القادر، العمارة في الحضارة الإسلامية. جامعة الملك عبد العزيز، مركز النشر العلمي، جده، 1990.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (356 هـ)، كتاب الأغاني، دار صادر، بيروت، 2008.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ)، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

العزة، عبد الله، نقش حلحول، أقدم نقش إسلامي في فلسطين، مركز التخطيط والدراسات، كفر كنا، 1990.

ذياب، محمد، نتائج فحص الأرضية التحضيرية لأرضية فسيفساء الحمّام الكبير/ قصر هشام، تقرير غير منشور، 2011.

طه، حمدان، أريحا تاريخ حي: عشرة آلاف سنة من الحضارة. وزارة السياحة والآثار، دائرة الآثار والتراث الثقافي، رام الله، 2011.

طه، حمدان، قصر هشام في أريحا، مجلة الفنون الكويتية، العدد 242، 2004: 44-45.

المصــادر الأجنبية

Avi-Yonah, M. *Mosaic pavements in Palestine*. London, 1934.

Baer, E. A Group of North Iranian Craftsmen Among the Artisans of Khirbet el-Mafjer, *Israel Exploration Journal* 24 (1974), 237-240.

Baramki, D. C. Excavations at Khirbet el Mefjer, QDAP 5 (1936), 132-138; 6 (1938), 157-168; 8 (1939), 51-53; 10 (1942), 153-159.

The Pottery from Khirbat el Mefjar, QDAP 10 (1944), 65-103.

Guide to the Umayyad palace at Khirbat al Mafjar. Jerusalem, 1947; Amman, 1956.

Arab culture and architecture of the Umayyad period: A Comparative study with special reference to the results of the excavations of Hisham's palace. London, University of London, 1953.

Behrens-Abouseif, D. The Lion-gazelle mosaic at Khirbat al-Mafjar, *Muqarnas* 14 (1997), 11-18.

Bisheh, Gh. An Iconographic detail from Khirbet al-Mafjar: The Fruit-and-knife motif, *The Archaeology of Jordan and beyond: Essays in honor of James A. Sauer*. L. E. Stager et al., eds. Winona Lake, IN, 2000. 59-65.

Creswell, K. A. C. Khirbat al-Mafjar, *Early Muslim Architecture*. Oxford, Oxford University, 1932, revised ed. 1969. Vol. I, pt. 2, ch. 20, 545-577.

Donner, F., The Formation of the Islamic State. *JOAS* 106 (1986): 283-296.

Grabar, O. The Umayyad palace of Khirbat al-Mafjar, *Archaeology* 8 (1955), 228-235.

Grohman, A., *Arabic Papyri from Hirbat el-Mird*, Leuven: Publications Universitaires.

Hamilton, R. W. Plaster balustrades from Khirbat Mafjar, QDAP 13 (1948), 1-58.

The Structural History of the Aqsa Mosque. London Oxford University, 1949.

The sculpture of living forms at Khirbat al Mafjar, QDAP 14 (1950), 100-119.

A mosaic carpet of Umayyad date at Khirbat al Mafjar, QDAP 14 (1950), 120.

Khirbat al Mafjar: An Arabian Mansion in the Jordan Valley, with a contribution by O. Grabar. Oxford, Oxford University, 1959.

Carved plaster in Umayyad architecture, *Iraq* 15 (1953), 43-55.

Who built Khirbat al Mafjar? *Levant* 1 (1969), 61-72.

Walid and his Friends: An Umayyad Tragedy. Oxford, Oxford University, 1988.

Khirbet el-Mafjar, *The New Encyclopedia of Archeological Excavations in the Holy Land*. E. Stern, ed. Jerusalem, Vol. 3, 1993: 922-929.

HP = Hisham' Palace, House of the Mosaics, Protective Shelter and Gardens at Khirbet el-Mafjer, Jericho, 2010 (Prochour).

JW = Jericho Workshop for Mosaic Restoration. The Palestinian Department of Antiquities. Interim Report, 2002.

Kramer, C., *Excavations at Nessana*, Vol. 3: Non Literary Papyri. Princition, Princition University.

Malesani, F. and Trevisan, R., *Geophysical and Diagnostic Survey, Hisham's Palace-Khirbat al- Mafjar*. UNESCO Liaison Office, Ramallah, 2001.

Negev, A. and Gibson, S. (eds.) *Archeological Encyclopedia of the Holy Land*. London, 2001: 347-349.

Piccirillo, M. Le Qasr Hisham (Khirbet el-Mafjar): le projet de restauration, *Dossier d'Archéologie* 240 (1999), 122-123.

QH = Qaser Hisham, Jericho, Ministry of Tourism and Antiquities, Palestinian national Authority, 2000 (Prochour).

Rosen-Ayalon, M., Themes of Sasanian Origin in Islamic Art, *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* 4 (1984): 69-80.

Schick, R. Palestine in the Early Islamic Period, *Near Eastern Archaeology, Vol. 61 (1998)*: 74-108.

Schwabe, M. Khirbet Mafjar, Greek Inscribed Fragments, 20 QDAP, XII, 20.

Taragan, H. *Art and Patronage in the Umayyad Palace in Jericho*. Jerusalem, 1997.

Taha, H. Qasr Hisham, *Terre Sainte*. Paris, Guides Gallimard, 1995. 318-321.

Taha, H. *Inventory of cultural and natural heritage sites of potential outstanding universal value in Palestine*. Ramallah, 2005. 35-36.

Taha, H. Rehabilitation of Hisham's palace in Jericho, *Tutela, conservazione e valorizzazione del patrimonio culturale della Palestina*. F. Maniscalco, ed. Naples, 2005. 179-188.

Taha, H. The Mosaic School at Hisham's Palace in Jericho, Palestine: The Revival of an Ancient Craft, *Arts and Crafts in the Muslim World*. N. Maarouf and S. Cavusoglu, eds, Istanbul, IRCICA, 2008. 279-286.

Taha, H., Umayyad Palaces, *Inventory of Cultural and Natural Heritage Sites of Potential Outstanding Universal Value in Palestine*. Ramallah, Department of Antiquities and Cultural Heritage, 2009. 35-36.

Taha, H. The Current State of Archeology in Palestine, *Present Pasts* 2 (2010).

Taha, H. and A. Qleibo *Jericho, A Living History: Ten Thousand Years of Civilization*. Ramallah, 2010.

Taha, H. New excavations at Khirbet el-Mafjar, 2006, *Archaeological heritage in the Jericho Oasis: A Systematic catalogue of archaeological sites for the sake of their protection and cultural valorization*. L. Nigro, M. Sala, and H. Taha, eds. Rome: ROSAPAT 07, "La Sapienza" expedition to Palestine & Jordan, 2011. 289-297.

Taha, H. New Excavations at Khirbet el-Mafjer, *Archeological Heritage in the Jericho Oasis*. L. Nigro, M. Sala and H. Taha. eds. Rome, ROSAPAT 7, 2011. 289-297.

Taha, H. and D. Whitcomb, *The Mosaics of Khirbet el Mafjar*, Ministry of Tourism and Antiquities. Ramallah, 2014.

Tsafrir, Y. and Forster, G. the Dating of the "Earthquake of the Sabbatical Year" of 749 C.E. in Palestine. *Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol. 55 (1992)*: 231-255.

Van Berchem, M. Materiaux pour un Corpus Inscriptionm Arabicarum. Deuxieme partie- Syrie du Sud. Jerusalem. Cairo: *Institut Francais D'archeologie Orientale, (1922)*: 27.

Walmsley, A., The Administrative Structure and Urban Geography of the Jund Filastin and the Jund al- Urdunn. Ph.D. Diss., Univesrity of Sydney, 1987.

Walmsley, A., *Early Islamic Syria: An Archaeological Assessment*. Duckworth, London, 2007.

Whitcomb, D. Khirbet al-Mafjar reconsidered: The Ceramic evidence, Bulletin of the American Schools of Oriental Research 271 (1988), 51-67.

Whitcomb, D., and H. Taha Khirbat al-Mafjar and its place in the archaeological heritage of Palestine, *Journal of Eastern Mediterranean Archaeology and Heritage Studies* 1 (2013), 54-65.





